# الفصل الثالث
# الأدبيات التعليمية للمعلم والمتعلم فى المذهب المالكى

تمهيد:

تأتى أهمية دراسة الأدبيات التعليمية والتربوية للمعلم والمتعلم لأن "العملية التعليمية إنما هى عملية تفاعل عقلى حى بين كائنين بشريين أحدهما مكتمل العقل والمعرفة والخبرة أو هكذا يفترض أن يكون- هو المعلم، وثانيهما مبتدئ فيها كلها"(١).

"وتستهدف هذه العلمية أساساً مساعدة التلميذ على تحقيق النمو السوى فى جميع جوانب شخصيته الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية والروحية ليصبح قادراً على خدمة مجتمعه والمساهمة فى تنميته. فالمتعلم يمثل محور العملية التعليمية بينما يسهم المعلم بدورٍ فاعلٍ وهامٍ فى تنظيم عملية تعلم التلاميذ"(٢).

"وبالتالى فإن الاهتمام بالعلاقة بين المعلم والمتعلم، والعناية بسلامتها فى كل جوانبها وأبعادها يعد عملاً ضرورياً ومطلوباً، حيث يُسهم بدورٍ أساسيٍ وكبيرٍ فى نجاح العملية التعليمية، ويدفعها إلى إنجاز مهامها المختلفة.

وتزداد أهمية دراسة هذه العلاقة إذا أدركت مدى ما تعانيه هذه العلاقة عملياً وواقعياً من صور الانحراف والفساد فى مختلف جوانبها ومجالاتها داخل نظمنا التعليمية فى الوقت الحاضر، والتى برزت كامتدادٍ لانعكاسات وفشل تطبيقات الأفكار والأساليب والأنظمة التربوية غير المتفقة وطبيعة مجتمعاتنا الإسلامية"(٣).

---

(١) محمد جواد رضا، الفكر التربوى الإسلامى: مقدمة فى أصوله الاجتماعية والعقلانية، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٨٠)، ص١٠٤.

(٢) عزت جرادات وآخرون، مدخل إلى التربية، المكتبة التربوية المعاصرة (٢)، ط(٣)، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٨٧)، ص١٠١.

(٣) محمد ناجح محمد أبو شوشة، المضامين التربوية في أهم مصادر المذاهب الشافعي ، ورسالة دكتوراه ، غير منشورة كلية التربيى بسوهاج ، جامعة جنوب الوادي ، ٢٠٠٢م ، ص ١٥٣.

وقد أوضحت نتائج تحليل المصادر عينة الدراسة اهتمام فقهاء المالكية بإبراز الأدبيات التعليمية للمعلم والمتعلم لإدراكهم بأهمية العلم والتعليم فأورد الإمام ابن الحاج إسهاباً مطولاً فى التزام المعلم والمتعلم بأدبيات وأخلاقيات عملية التعليم والتدريس وأورد الإمام الحطاب مجموعة من هذه الآداب فى كتابه "مواهب الجليل فى شرح مختصر الشيخ خليل"، وإن هذه الأدبيات التى نسجها فقهاء المالكية "لم تكن من نسيج خيالهم وإنما أوجدتها فيهم تلك التجارب الميدانية أثناء تأديتهم للعملية التعليمية لأنهم كانوا معلمين ومربين"(١).

وقد قدموا مجموعة من الإرشادات المنهجية للعلاقة بين المعلم والمتعلم جديرةً بالتحليل والتطبيق من جانب القائمين على العملية التعليمية والتربوية وطلاباً ومعلمين وموجهين ومسئولين وإداريين، حيث إن التعليم فى الإسلام رسالة قبل أن يكون مهنة.

نعرض فى هذا الفصل مناقشة للأدبيات التعليمية للمعلم والمتعلم كما يراها فقهاء السادة المالكية على النحو التالى:

## أولاً: أدبيات المعلم التعليمية:

**قسم الإمام ابن الحاج أدبيات المعلم إلى مجموعتين :**

**الأولى** : أدبياته فى نفسه، وتحوى أدبيات تتعلق بالنواحى النفسية والأخلاقية والجسدية .

**الثانية** : أدبياته فى مجلسه وتنقسم إلى خمسة محاور:

**المحور الأول** : يتعلق بأدبيات المعلم تجاه البحث العلمى .

**المحور الثانى** : يتعلق بأدبياته تجاه الصحة النفسية للطلاب .

**المحور الثالث**: يتعلق بأدبياته فى إدارة المحاضرة وإلقاء الدرس .

**المحور الرابع**: يتعلق بأدبياته فى الالتزام بآداب تعلم العلم .

(١) يوسف محمد النجار، النهج التربوية للعلماء والمربين المسلمين، (بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٩)، ص١٢.

المحور الخامس: يتعلق بأدبياته فى الالتزام بآداب الجلوس فى درسه.

ثم أدبياته فى بيته ومع أهله، وأدبياته فى اللباس، وأدبياته فى تفقد لباس أهل بيته.

وفيما يلى عرض للأوبيات التعليمية المالكية للمعلم:

(١) أدبيات المعلم فى نفسه :

يقصد بها مجموعة الأدبيات والاتجاهات والأخلاقيات التى يطلب من المعلم أن يلتزم بها فى نفسه، وتشمل:

أ - إخلاص النية فى نشر العلم :

يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة إخلاص نيته فى بذل العلم لأهله من منطلق إدراكهم لأهمية العلم فالغرض من التربية لديهم هو التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

فيذكر الإمام ابن الحاج "لا يوجد فى الأعمال كلها أفضل من طلب العلم، وذلك بشرط أن تكون النية فيه حسنة فإذا كانت حسنة كان أفضل الأعمال، وقد قال مالك رحمه الله لابن وهبٍ لّما أن قام إلى الصلاة ما الذى قمت إليه بأوجب من الذى قمت عنه وإنما قال له ذلك لما كانت نياتهم فى طلب العلم ما كانت فكان طلب العلم لا يفوقه غيره والصلاة تُدرك ؛ لأن وقتها ممتد ومسائل العلم تفوت، لأنها لا تكون ولا تتحصل للإنسان وحده فى غالب الأمر بذلك مضت الحكمة ووقع التكليف لقوله ﷺ "وإنما العلم بالتعليم"(*) وهو ميسر الآن عليه بسبب مجالسته الإمام مالكاً الذى كان معه فى ذلك الوقت فقد تفوته مجالسته بعد الصلاة، وعلى ذلك فالنية أولى ما يراعى العالم أولاً ثم ينميها بعد ذلك ويحسنها والعالم أولى بتنميتها وتحسينها، إذ العلم الذى عنده يبصره بذلك ويدله عليه.

قال الله سبحانه وتعالى :

(*) ابن حجر العسقلانى، فتح البارى بشرح صحيح البخارى، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى، محب الدين الخطيب، ج(١)، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ص١٦١.

﴿...وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ (١)

وكيفية إخلاص النية أن يكون تعلم العلم بنية أن يمتثل أمر الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ... ﴾ (٢)

والأجر فى العناية بالعلم على قدر النية، قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قد أوقع أجره على قدر نيته"(*)(٣).

ومن هذا النص "فمن صفات العالم المعلم الحقيقى الاتصاف بصفة الإخلاص فيكون تعلمه للعلم ونشره له ابتغاء وجه الله تعالى، لا لرياء، ولا لسمعة، ولا لحب محمدةٍ من الناس، ولا لنيل حطام الدنيا، فالعالم الكيَّس الفطن يضع نصب عينيه فى كل لحظة وحين أن هذا الكون بما فيه مملوكُ لله رب العالمين. فأفئدة الناس وقلوبهم مملوكة لله وحطام الدنيا مملوك لله. وكذلك يضع نصب عينيه أن الله تعالى مطلع عليه وعلى ما فى قلبه ولا يخفى عليه خافية"(٤).

وقد قال رسول الله ﷺ: "مَنْ ابتغى العلم ليباهى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو تقبل أفئدة الناس إليه، فإلى النار"(**).

فيجب على المعلم أن يكون مخلصاً مراقباً لله فيما بين يديه من الطلاب فيراعى فى تعليمهم العلم الله سبحانه وتعالى ويخلص نيته فى تربيتهم لأن "إخلاص النية ضرورى

(١) سورة العنكبوت: من الآية ٤٣.
(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٨٧.
(*) مالك بن أنس، الموطأ، مرجع سابق، ص١١٤.
(٣) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ٢٠: ٧٢.
(٤) عبده غالب أحمد عيسى، تذكرة العلماء والمتعلمين، (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧)، ص٥٨.
(**) الترمذى، سنن الترمذى، مرجع سابق، ج(٥)، ص٣٢. بلفظ "من ابتغى العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يقبل إفادة الناس إليه فإلى النار".

لحصول الأجر، فإن لم تتوافر النية فلا يؤجر المعلم نظراً لأن إخلاص النية شرط أساسى"[1].

ب- العمل بالعلم :

يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة أن يطابق عمله علمه ويكون ترجمةً له لأنه قدوةٌ لغيره وبأثره يهتدون ويعملون يذكر الإمام ابن الحاج "يجب على العالم بعد ذلك العمل بما يأمر به إذ هو الذى يقرأ به ؛ لأنه إن لم يعمل به كان حجة عليه يوم القيامة وحسرة وندامة.

وروى عن النبى ﷺ ما منكم من أحد إلا وسيخلو به ربه عز وجل كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر أو ليلة تمامه يقول: يا ابن آدم ما غرك بى يا ابن آدم ما غرك بى يا ابن آدم ما غرك بى يا ابن آدم ما غرك بى يا ابن آدم ما غرك بى ما عملت فيما علمت يا ابن آدم ؟ ماذا أجبت المرسلين؟"[*]

وقوله ﷺ : أنزل الله فى بعض الكتب أو أوحى إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون فى غير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس جلود الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياى يخادعون وبى يستهزئون لأتيحن لهم فتنة تذر العليم فيها حيران"[**][2].

فمن هذا النص "لابد للمعلم أن يكون عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار أكثر. فإذا خالف العمل العلم منع الرشد"[3].

---

(١) يوسف محمد النجار، مرجع سابق، ص٤٥.

(*) الهيثمى، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق، ج(١٠)، ص٣٤٧. بلفظ "ما منكم من أحد إلا أن ربه عز وجل سيخلو به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر فيقول ابن آدم ما غرك بى ابن آدم ما غرك بى ابن آدم ماذا أجبت المرسلين ابن آدم ماذا عملت ابن آدم ماذا عملت ابن آدم ماذا عملت فيما علمت ابن آدم ماذا عملت فيما علمت"

(**) الدارمى(الإمام عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمى، ت ٢٥٥هـ) سنن الدارمى، تحقيق: فواز أحمد زمرلى، خالد السبع العلمى، ج(١)، (بيروت: دار الكتاب العربى، ١٤٠٧هـ) ص٨٢.

(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص٧٢.

(٣) الغزالى، مرجع سابق، ج(١)، ص٨٠.

و"إذا لم ينتفع العالم بعلمه فغيره أبعد عن الانتفاع به، ولهذا عظمت زلة العالم لما يترتب عليها من المفاسد لاقتداء الناس به"(١).

و"من البديهى أن يكون المعلم قدوةً، وأن يقلد المتعلم ما هو عند المعلم، فالمعلم هو المخول بإزالة الأخلاق السيئة واستبدالها بأخلاق حميدة ليسير المتعلم على طريق الآخرة المؤدية إلى الله سبحانه"(٢).

**ج- أن يأخذ نفسه بالصون عن طرق الشبهات :**

يؤكد فقهاء المالكية على العالم أن يصون نفسه عن مواضع المكروهات والمحرمات وفى هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغى للعالم أن يأخذ نفسه بالصون عن طرق الشبهات ويقلل الضحك والكلام بما لا فائدة منه ويأخذ نفسه بالحلم والوقار(٣).

ومن هذا النص "يجب أن يكون المعلم قدوةً حسنةً لتلاميذه فى تعليم الأخلاق وغرس أصول الفضائل فى النفوس؛ لأن الأطفال يتأثرون بالتقليد والمحاكاة والمثل العليا التى يرونها أكثر من غيرهم(٤).

**د- التواضع :**

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة تحلية العالم بحلية التواضع لترتفع منزلته ويعظم قدره "فإذا كان المتواضع عالماً فإنه بالتواضع يزداد علماً لأنه لا يستنكف أن يأخذ الفائدة ممن دونه. و لا يأبى أن ينقل الحق عن أى مخلوق"(٥).

ويذكر الإمام ابن الحاج فى هذا المضمار "ينبغى للعالم أن يتواضع للفقراء، ويجتنب التكبر والإعجاب ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة وإن لم يخف

(١) هشام نشابة، التراث التربوى فى خمس مخطوطات، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٨)، ص١١١.
(٢) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوى عند الإمام الغزالى، (بيروت: دار اقرأ، ١٩٨٥) ص٥٣.
(٣) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص٧٢.
(٤) عزت جرادات وآخرون، مرجع سابق، ص١٠٠.
(٥) عبد الرحمن الجزيرى، مرجع سابق، ص٢٢٢.

خالطهم بالظاهر مع سلامة باطنه ليبلغهم أحكام ربهم عليهم، ويترك الجدال والمراء ويأخذ نفسه بالرفق والأدب وينبغى أن يكون ممن يؤمن شره ويرجى خيره ويسلم من ضره وأن لا يسمع ممن نَمّ عنده ويصاحب من يعاونه على الخير ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق ويزينه ولا يشينه. وينبغى أن يكون خائفاً على نفسه من التقصير مشفقاً على نفسه من التبليغ يرى نفسه أنها ليست أهلاً لذلك ويرى نفسه أنه أقل عبيد الله وأكثرهم حاجة إليه وأفقرهم إلى التعليم فالعالم عالم ما كان يرى نفسه أنه جاهل فإذا رأى نفسه أن عالم فقد جهل بل مسترشد متعلم يقعد مع إخوانه يرشدهم ويسترشد منهم ويعلمهم ويتعلم منهم"(١).

يؤكد ابن الحاج فى هذا النص على مبدأ التواضع وأهميته بالنسبة للعالم للانتفاع بعلمه وعلى ذلك "فالمعلم يطلب إليه إلى جانب أن يكون حازماً جاداً فى تعامله التربوى أن يكون شديداً فى رحمته أحياناً، ومتواضعاً، ومن التواضع معرفة أسماء الطلبة وأحوالهم، ومعرفة أقاربهم وإلى من ينتسبون، وبيئتهم الاجتماعية والثقافية، فمن تواضع لله ورثه الله الحكمة"(٢).

هـ- أن يبادر بترك المحذورات والمكروهات :

يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة اتباع أوامر الله سبحانه وتعالى واجتناب نواهيه وإقامة الشرع الشريف فيقتدى بصاحب العصمة ﷺ.

وفى هذا الصدد يذكر ابن الحاج "يستحب للعالم أن يكون أول من يبادر إلى ترك المحذورات والمكروهات بحسب جهده وطاقته ومروءته وهذا آكد لقوله ﷺ :

"ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم"(*).

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ٧٤: ٧٥.
(٢) يوسف محمد النجار، مرجع سابق، ص ص ٤٩: ٥٠.
(*) البيهقى، سنن البيهقى الكبرى، مرجع سابق، ج (١)، ص٢١٥.

فما وقع النهى عنه فلا يقرب لنص هذا الحديث والنهى يتناول المحرم والمكروه كما أن الأمر يتناول الواجب والمندوب فإن لم يقدر هذا العالم على الترك بالكلية وغلبته نفسه فى ارتكاب شيء من المكروهات أو البدع فليحذر كل الحذر أن يطلع عليه أحد من خلق الله فيكون مستتراً ويتوب إلى الله تعالى فى كل وقت يقع ذلك منه لقوله ﷺ "من بلى منكم من هذه القاذورات بشيءٍ فليستتر بستر الله فإنه من أبدى لنا صفحة وجهه أقمنا عليه الحد"(*) فالعالم يجب عليه التستر أكثر من غيره لأن شره ومعصيته ومخالفته وبدعته إن ابتلى بشيءٍ من ذلك يتعدى إلى غيره كما أن خبره كذلك متعدٍ لكن التعدى لهذا الفن أكثر لأن الغالب على النفوس الاقتداء فى شهواتها وملذوذاتها وعاداتها أكثر مما يقتدى به فى التعبد الذى ليس لها فيه حظ"(١).

ومن هذا النص فالمعلم يجب عليه المبادرة بفعل المندوبات والسنن ويجتنب الوقوع فى المحرمات والدناءات والمخالفات لأنه "ليس مجرد خازن علم يغترف منه التلاميذ معارف ومعلومات ولكنه نموذج وقدوة وأمين على ما يحمله من العلم. فلابد له من صيانته بأن يحافظ على كرامته ووقاره، ولا يبتذل نفسه ويترخص فيها ويرتبط بهذا أن يتجنب مواضع التهم وإن بعدت، ولا يفعل شيئاً يتضمن نقص مروءته أو ما يستنكر ظاهراً وإن كان جائزاً باطناً، فإنه يعرض نفسه للتهمة"(٢).

و- أن يقتدى بالسلف الصالح :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يتأسى العلماء بالسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين لأنهم الرعيل الأول فى العلم والتعليم فيأخذ بآرائهم ويعض يده على أفعالهم فيذب عن السنة النبوية الشريفة ويحفظ الشرع الشريف ويصون هيبة العلم كما فعلوا.

(*) مالك بن أنس، الموطأ، مرجع سابق، ص٤٥٩.
(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١١٨.
(٢) سعيد إسماعيل على، اتجاهات الفكر التربوى الإسلامى، مرجع سابق، ص ص ٨٢: ٨٣.

وفى هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج "يجب على العالم أن لا ينظر إلى العوائد التى اصطلحنا عليها ولا بكون سلفنا مضوا عليها إذ قد يكون فى بعضها غفلةٌ أو غلطٌ أو سهو ولكن ينظر إلى القرون الأولى، فإن فعل هو منها شيئاً مما يراه مصلحةً فى وقته فينبغى له أو يجب عليه أن يبين ذلك ويعترف بين الناس أنه مُحْدِثٌ ويبين السبب الذى لأجله فعل ذلك.

قال رسول اللّٰه ﷺ : خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فقيل له: فما بعد هذه القرون التى ذكرت فأومأ بيده يعنى لا شىء"(*).

ألا ترى الإمام مالك- رحمه اللّٰه- إذ قال فى موطئه، وعلى هذا أدركت الناس وما رأيت الناس فإنما يعنى العلماء، فالناس عندهم هم العلماء، فالحديث من باب أولى أن يحمل على العلماء العاملين ليس إلا فى ذلك الزمان المخصوص المشار إليه من صاحب العصمة بالخير ﷺ أنظر إلى حكمة الشارع صلوات اللّٰه وسلامه عليه فى هذه القرون وكيف خصهم بالفضيلة دون غيرهم، وقد كان مالك رحمه اللّٰه إذا شك فى الحديث تركه ألبته فلا يحدث به، وهو ليس من قرنهم بل من القرن الثانى فما بالك بهم وهو خير الخيار"(١).

من هذا النص يجب على المعلم القراءة فى التراث التربوى الإسلامى للاقتداء بالسلف الصالح فى معاملتهم للتلاميذ وحضهم على الفضائل والأخلاق والآداب ليقف عليها ويتحلى بها وينقلها إلى تلاميذه لينصلح أمر دينهم ودينهم.

**ز- أن يتحفظ من طلب التزكية والنعوت :**

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يتحلى العالم بصفة التواضع فيحتفظ من التزكية بالصفات المخالفة للشرع وأن يرشد تلاميذه إلى عدم التعلق بها وطلبها وفى هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج:

---

(*) الحارث، مرجع سابق، ج(٢)، ص٩٤٠، بلفظ "خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتى قوم تسبق إيمانهم شهادتهم وشهادتهم إيمانهم".

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ٨٢: ٨٣.

"ينبغى للعالم أن يتحفظ عما اصطلحوا عليه من تسميتهم بهذه الأسماء القريبة العهد بالحدوث التى لم تكن لأحدٍ ممن مضى، بل هى مخالفةٌ للشرع الشريف، وهى فلان الدين كزكى الدين ومحيى الدين وعلم الدين، والعالم أولى من يتحفظ على نفسه من هذه الأشياء ويذب عن السنة فى حق نفسه وفى حق غيره، فإذا نطق بهذه الأسماء نهاه برفق وتلطف به فى التعليم تنبهه بما فى التزكية من النهى . فقد قال الله تعالى :

﴿...فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ ...﴾(١)

وقوله ﷺ : "لا تزكوا على الله أحداً ولكن قولوا أخا له كذا واظنه كذا"(*)(٢).

ومن هذا النص يجب على المعلم عدم استخدام أسماء التزكية فى نفسه ومع طلبته لأنها لم تكن من شرع من مضى فيمثل أمر الله سبحانه وتعالى فلا يزكى أحداً وعدم تزكية نفسه من باب أولى وأحرى له لأنه قدوةٌ لتلاميذه فى كلامه وحركاته وسكناته وتعليمه وتعلمه.

(٢) أدبيات المعلم فى مجلسه :

يقصد بها مجموعة الأدبيات والسلوكيات والاتجاهات التى يطلب من المعلم الالتزام بها فى مجلسه أثناء عرض درسه.

وفيما يلى عرض لأدبيات المعلم المالكية فى مجلسه :

- أدبيات المعلم تجاه البحث العلمى :

رسم فقهاء المالكية منهجاً متكاملاً للبحث العلمى يقوم على مجموعة من الأصول والقواعد، من أهمها:

---

(١) سورة النجم : من الآية ٣٢ .

(*) البخارى، صحيح البخارى، مرجع سابق، ج(٢)، ص٩٤٦. بلفظ "من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل أحب فلاناً والله حسبه ولا أزكى على الله أحداً أحبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك".

(٢) المرجع السابق، م(١)، ج(١)، ص١٢٩.

أ - أن يكون جلوس المعلم لإصابة الحق والصواب :

يؤكد فقهاء المالكية على العالم أن يقصد بجلوسه فى درسه إصابة الصواب فتكون الحقيقة هى ضالته التى يبحث عنها فأين وجدها انتصر لها.

يذكر الإمام ابن الحاج "ينبغى للعالم أن تكون نيته حين جلوسه لإصابة الحق والصواب على لسان من خلق الله ذلك قبله ويسر به ولا يختار بنيته أن يكون هو الذى يأتى بالصواب فى كل درسه ليس إلا بل يختار الحق والصواب ولا يعين جهةً لأن النبى ﷺ قال : لا يبلغ أحدٌ حقيقة الإيمان حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه"(*)

والعالم أولى من يأخذ بحقيقة الإيمان لأنه إذا لم يأخذ به من يعرفه فكيف يأخذ به من يجهله بل الناس مطالبون بتصرف هذا العالم فى الاقتداء به فكما لا يختار لنفسه ولا يحب لها أن تتكلم إلا بالحق والصواب فكذلك فى حق إخوانه المؤمنين سواء لا فرق بينهما فيمتثل هذا فى حق نفسه ويرشد غيره إليه وينبه عليه"(١).

من هذا النص فإن الإمام ابن الحاج يرسى مبدءاً تربوياً هاماً وهو "تحرى الحقيقة وإكبارها إلى أقصى حد، على أساس أنها الغاية المرجوة لا فى التعليم والتعلم والبحث فقط بل فى الحياة بأجمعها، فواجب المعلم أن يذكر الحاضرين-تلاميذه- بما جاء فى كراهية المماراه ولا سيما بعد ظهور الحق، وأن يزجر من تعدى فى بحثه أو ترك الإنصاف بعد ظهور الحق"(٢).

فعلى المعلم توضيح الحقيقة والاستدلال عليها بالشواهد والآثار وينسب ذلك لأهله فلا ينقصهم فضلهم بنسب هذا إلى نفسه.

(*) البخارى، صحيح البخارى، مرجع سابق،ج(١)، ص١٤، بلفظ "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".
(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٢٦.
(٢) حسن إبراهيم عبد العال، فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة (٦٣٩هـ-٧٣٣هـ) كما يبدو فى كتابه "تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم"، (الرياض: مكتب التربية العربى لدول الخليج، ١٩٨٥)، ص١٤٢.

**ب - أن ياخذ بمآخذ العلم فى إيراد المسالة بالرجوع إلى قواعدها وأدلتها ؛**

يؤكد فقهاء المالكية على أهمية أن يورد العالم الشواهد والأدلة التى تثبت صدق رأيه فيما يُعرض له من مسائل العلم، فيذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغى للعالم بل يجب عليه أن ينظر إلى مأخذ العالم المسألة وتجويذه إياها من أين أخترعها وكيفية إجازته لها؛ لأن هذا الدين والحمد للّٰه محفوظ فلا يمكن أن يقول أحداً فيه قولاً ويتركه بغير دليل، ولو فعل ذلك أحدٌ لم يقبل منه، وهو مردودٌ عليه إلا أن تكون قواعد الشرع تشهد بصحتهٍ فيرجع للقواعد وللدلائل القائمة، ويكون قول هذا العالم بياناً وتفهيماً وبسطاً للقواعد والدلائل، وإن أتى على ما يقول بدليل فينظر فى الدليل، فإن كان موافقاً قُبل وكان له أجران أجر الاجتهاد وأجر الإصابة وإن كان مخالفاً لم يقبل وكان له أجر واحدٌ وهو أجر الاجتهاد، وقد كان مالك رحمه اللّٰه لا يأتى بمسألةٍ إلا ويأتى بمآخذها ودليلها فيسندها إلى الكتاب العزيز أو حديث النبى ﷺ أو إلى إجماع أو إلى أقوال العلماء أو فتاويهم أو أحكامهم"(١).

ومن هذا النص يوجه ابن الحاج نداءاً لمعلم العلوم الدينية والشرعية الحديثية والفقهية "أن يكثر من الإمعان والغوص فى المعانى وتجريدها من محسوساتها وإطلاق أحكامها بشكل قوانين عامة"(٢) ومدارسة مسائل العلم وإيراد الأدلة النقلية والعقلية على ما يقع له من مسائل العلم وفى نفس الوقت" يكون مجيداً للعلم الذى يدرسه وأن يجيد توصيله لعقول الآخرين"(٣) مشجعاً تلاميذه على الاستدلال للمسائل والاجتهاد ببيان آلياته ووسائله وتوضيح فضل الاجتهاد فى الدين.

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٦٤.
(٢) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوى عند ابن خلدون وابن الأزرق، (بيروت: دار اقرأ، ١٩٨٤)، ص٧٨.
(٣) محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص ١٨٠.

ج - عدم التعصب فى العلم :

يؤكد فقهاء المالكية على أهمية أن ينتصر العالم لمذهبه بشرط عدم التعصب لمذهبه على حساب الحق والحقيقة فيكون كالسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين وكبار العلماء يأخذون من المذهب ما يوافق كتاب الله والصحيح من سنة نبيه ﷺ.

يذكر الإمام ابن الحاج "ينبغى للعالم أن يوجه مذهبه وينتصر له، وذلك بشرط التحفظ على منصب غير إمامه أن ينسب إليه ما ينسب بعض المتعصبين من الغلط والوهم لغير إمامه فإن كنت على مذهب مالك مثلاً فلا يدخلك غضاضةٌ لمذهب الشافعى أو غيره من الأئمة رضى الله عنهم لأنهم الكل جعلهم الله رحمةً لك لأنهم أطباء دينك كلما أعوج أمرٌ فى الدين قوموه وكلما وقع لك خللٌ فى دينك اتفق الكل على ذهابه عنك وإصلاح أمرك ومثال ذلك قول مالك رحمه الله لما أن سئل عن أبى حنيفة فقال رأيته رجلاً لو أراد أن يستدل على هذا العمود أنه من ذهب لفعل فيكون قلبك واعتقادك مع لسانك مخلاً لهم ومعظماً ومحترماً وإن كنت قد خالفتهم بالرجوع إلى إمامك فى بعض الفروع فإنك لم تخالفهم فى أكثر الفروع فالأصول قد جمعت والحمد لله، وجواب مالك رحمه الله للخليفة لما أن أرد أن يكتب إلى الأقاليم بكتاب الموطأ وبالأمر أن لا يقرأ أحدٌ إلا أياه فقال له مالك لا تفعل يا أمير المؤمنين فإن أصحاب النبى ﷺ قد تفرقوا فى الأقاليم وقد أخذ الناس عنهم مع اعتقاده فيما ذهب إليه أنه الأولى والأرجح" على مقتضى الأصول والنظر فلم يطعن على ما ذهب إليه غيره ولم يعبه ولم يقل الأولى أن يرجع إلى ما رأيته فيكون هذا العالم يتأسى بهذا الإمام فى التسليم لمذهب الناس فى الفروع والأحكام مع اعتقاده الصواب فيما ذهب إليه دون تغليظ غيره أو توهيمه"[1].

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٢٣:١٢٢.

ومن هذا النص يجب على المعلم أن يرشد تلاميذه إلى "التفكير العلمى والبحث عن الدليل والبرهان فيناقش ويحاور ويرد ويستمع، حتى يهتدى إلى الحق والصواب"(١) ؛ " وأن يربى فيهم ملكة الاجتهاد والنظر لا مجرد التقليد والتسليم حتى ينشأ مستقلاً لا نسخة من معلمه"(٢) "لأن الاجتهاد إذا كان جائزاً فى الأمور الشرعية، فإن جوازه فى الأمور العقلية من باب أولى"(٣)، وتربية طلبته على عدم التعصب فى العلم بل التماس الأدلة والبراهين والاستدلال بالشواهد والآثار لإصابة الحقيقة.

**د - أن يكون مهيئاً ومستعداً لإجابة مسائل العلم :**

يؤكد فقهاء المالكية أهمية أن يكون العالم مهيئاً لشرح وعرض وتوضيح مسائل العلم وعملية التدريس فلا يتبرم من الإلحاح عليه فيها ويذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغى للعالم بل يجب عليه أن لا يجحد وأن لا ينزعج عند إيراد المسائل عليه والإكثار منها والإلحاح عليه بها لأن الانزعاج ليس من شيم العلماء ولا من أخلاقهم فيحذر من هذا فى نفسه وفى مجلسه"(٤).

ينبه فقهاء المالكية المعلم إلى سعة صدره لإيمانهم بصعوبة مهنة التدريس فوجب على المعلم أن يكون "نافذ البصيرة حريص على الازدياد بملازمة الجد والاجتهاد والاشتغال قراءة وإقراء ومطالعة وتعليقاً وحفظاً وبحثا، ولا يضيع شيئاً من أوقات عمره فى غير ما هو بصدده من العلم"(٥)، حتى يتمكن من إجابة أسئلة الطالبين والمستفتين من عامة الناس وطلاب العلم.

---

(١) على عبد الحليم محمود، التربية العقلية، مرجع سابق، ص٥٣.
(٢) أحمد على الفيش، أصول التربية، ط(٥)، (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥) ص١٩٠.
(٣) على عبد الحليم محمود، التربية العقلية، مرجع سابق، ص٥٧.
(٤) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٢٦.
(٥) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ص١١٠: ٢١٩.

- أدبيات المعلم تجاه الصحة النفسية لطلابه :

يؤكد فقهاء المالكية أهمية أن يجنب العالم طلابه من آفات النفس واللسان فى مجلسه فيعالجها برفق تلطف لتتحقق الصحة النفسية التى لا تقل عن عنايته بالصحة العقلية لديهم.

وتحقيق الصحة النفسية يقوم على مجموعة من القواعد والإجراءات التى يجب عليه أن يتبعها فى مجلسه فمن أهمها:

أ - ألا يسمع لمن ينم فى مجلسه:

النميمة "من صفات النفس الذميمة ولذلك فقد قاتل الله النمّام الذى قد اجتمعت فيه الخسة والدناءه ومعظم الصفات المرذولة لأنه لا يبالى أن ينقل الكذب فهو من زمرة الكاذبين ولا ينفك عن الغيبة لأن النميمة غالباً يصحبها ذكر العيوب ولا ينفك عن الغدر والخيانة والحقد والحسد والتملق والنفاق والإفساد بين الناس والقضاء على سمعة إخوانه وكرامتهم وأموالهم وأعراضهم ومن كان كذلك فهو من شر خلق الله يسعون فى الأرض فساداً. ومن أجل ذلك كانت النميمة من الكبائر فى نظر الدين الإسلامى وقد حرمها الله تعالى بقوله :

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ " (١)

ولخطورة هذه العادة المذمومة وتأثيرها النفسى على الطلاب فقد نبه فقهاء المالكية العالم ليحذر أن تقع فى مجلسه فيذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغى للعالم أن لا يسمع من ينمّ عنده، وكذلك من ينقل أخبار الناس وما جرى لهم مما لا يترتب عليه فائدة شرعية؛ لأن للشيطان فى هذا الباب مجالاً كبيراً؛ لأنه لا يأتى لأحدٍ إلا من الباب الذى يعلم أنه يُقبل منه فلا يمكنه أن يأتى للعالم، أو العابد فيوسوس له

(١) سورة القلم : الآية من ١١ : ١٣ ؛ عبد الرحمن الجزيرى، مرجع سابق، ج(١)، ص ص١٣٢: ١٣٥.

بالزنا، أو شرب الخمر؛ لأنه قد أيس أن يقبل ذلك منه ولكنه يأتى بذكر شخص غائبٍ فيذكر بخبرٍ فيقوم بعض من حضره ويستثنى بقوله: إلا أن فيه كذا أو أنه كذا، فيترتب الإثم على جميع من حضره"(١).

من النص السابق يجب على المعلم التنبه لهذا الداء النفسى الخبيث أن يتسرب إلى تلاميذه فعليه أن يبادر بتخليص طلابه منه وتغيير أخلاقهم وتعديل سلوكهم فتصفو نفوسهم ويتهيئوا لاستقبال ما يلقيه عليهم من مسائل العلم ونحوه.

ب - أن يتحفظ على نفسه ومّنْ حضره من الغيبة :

يُحذِّر فقهاء المالكية العالم ومن حضره من الغيبة التىلا تقل فىزمامتها وقبحها عن النميمة، وقد قال بعض السلف الصالح "لأن أدع الغيبة أحبُّ إلىَّ من أن يكون لى الدنيا منذ حُلقت إلى أن تفنى، فأجعلها فى سبيل اللّٰه، ثم تلا قوله تعالى :

﴿...وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ...﴾(٢)

فيذكر الإمام ابن الحاج "يجب على العالم أن يتحرز على نفسه وعلى من حضره من الغيبة؛ لأنها مصيبةٌ عظمى فى الدين .

قال رسول اللّٰه ﷺ : لا يبلغنى أحدٌ عن أحدٍ من أصحابى شيئاً فإنى أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر"(*) .

وروى عن أبى هريرة قال : قيل يا رسول ما الغيبة قال: ذكرك أخاك بما يكره فقال له رجلٌ أرأيت إن كان فى أخى ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد أغتبه وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته"(**) .

---

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص٩٩.

(٢) سورة الحجرات : من الآية ١٢ . محمد أحمد إسماعيل المقدم، الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، (القاهرة: دار العقيدة للتراث، ١٩٩٨)، ص٧٠.

(*) أحمد بن حنبل مرجع سابق، ج(٢)، ص٣٩٥. بلفظ "لا يبلغنى أحد عن أحد أصحابى شيئاً فإنى أحب أخرج إليكم وأنا سليم الصدر".

(**) مسلم، مرجع سابق، ج(٤)، ص٢٠٠١. بلفظ "أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال: زكرك أخاك بما يكره قيل فرأيت إن كان فى أخى ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد أغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته".

وقد اجتمع أبا محمدٍ رحمه اللّٰه وجماعة من المباركين بتونس فلما أن أرادوا الطعام أبطأ واحدٌ منهم فسألوه عنه فقال قائل منهم ما زالت عادته هكذا، فقام حسن الزبيدى رحمه اللّٰه وقال: إنا للّٰه وإنا إليه راجعون اليوم لى سنةٌ لم اسمع غيبةً فسمعتوها لى اليوم، واللّٰه لا أقعد فى هذا المجلس وخرج من حينه ولم يتناول شيئاً"(١).

من النص السابق وجب على المعلم أن لا يسمع إلى من يغتاب فى مجلسه فعليه أن يرشده وينصحه بلطفٍ فإن لم ينته زجره وإلا طرده من مجلس العلم لما فيه من الحرمة والنهى .

وقد قال الإمام النووى رحمه اللّٰه:" اعلم أنه ينبغى لمن سمع غيبه مسلم أن يردها، ويزجر قائلها، فإن لم يزجر بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد ولا باللسان فارق ذلك المجلس، فإن سمع غيبة شيخه أو غيره ممن له عليه حقٌ، أو من أهل الفضل والصلاح، كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر" (٢).

وإذا كان ذلك فى المجالس العامة ففى مجلس العلم أولى وأحرى فيجب "على المعلمين أن يقفوا أولاً على تلك الأخلاق المرذولة، وهذه الأدواء النفسية الخبيثة" (٣) ثم يتابعوها لتخليص التلاميذ من شرها وإنصاف حق المغتاب لقوله ﷺ : من ردّ عن عرض أخيه، "رد اللّٰه عن وجهه النار يوم القيامة" (*).

ج- أن يتحفظ من الكذب فى مجلسه :

"الكذب يقبح لما يتعلق به من المضار الحاصلة منه، فالداعى إلى الكذب محبة النفع الدنيوى وحب الترأس وذلك أن المخبر يرى أن له فضلاً على المخبر بما علمه فهو يتشبه بالعالم الفاضل فى ذلك فيظن أنه يجلب بما يقوله فضيلةً ومسرةً وهو يجلب به نقيصةً

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ٢٠٠، ٢٠١.
(٢) محمد أحمد إسماعيل المقدام، مرجع سابق، ص٨٣.
(٣) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص١٣٩.
(*) الترمذى، سنن الترمذى، مرجع سابق، ج(٤)، ص٣٢٧.

وفضيحةً، ففضيحة كذبةٍ واحدةٍ لا توازى مسرات دهره، فالكذب عارٌ دائمٌ وذلٌ دائمٌ، وحق الإنسان أن يتحرى الصدق ويتعوده ولا يترخص فى أدنى كذب فمن استحلاه عسر عليه فطامه" (١).

ولغضاضة هذه العادة نبه فقهاء المالكية العالم من أن يقع ذلك فى مجلس درسه وهو بين يدى طلابه فيذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغى للعالم أن يتحرز من الكذب أن يقع فى مجلسه، فإن وقع فلينقم على فاعل ذلك، أو يمنعه من حضور المجلس حتى يتوب إلى الله تعالى ويقلع على ما سبق من مراتب الإنكار وشروطه، وإن لم يقدر على الإنكار إلا بقلبه قام وتركه، ولا يكون منكراً بقلبه إن قعد، ويأثم إلا أن يعجز عن الخروج لضرورةٍ شرعية ويجرى هذا فى جميع المعاصى حتى فى مجلسه من يلبس الديباج ويتختم بالذهب أو الفضة والجلوس فى مسجد يسئ الناس الصلاة فيه فلا يتمون الركوع والسجود، الجلوس فى مجلس وعظٍ فيه ذكر البدعة، أو فى مجلس مناظرةٍ، أو مجادلةٍ يجرى فيه الأذى أو الأبحاث بالسفه والشتم"(٢).

ومن هذا النص يرسى الإمام ابن الحاج ضرورة أخذ المعلم بمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مجلس العلم فمن الأمور المستفادة من هذا النص:

**أولاً:** شدة اهتمام المعلم بإبعاد هذه الصفة الذميمة عن تلاميذه.

**ثانياً:** استخدام أسلوب التوبيخ والتعنيف عند رؤيته اتصاف تلاميذه بالكذب.

**ثالثاً:** سعى المعلم إلى تغيير المنكر بالقلب وذلك فى حالة عدم قدرته على الخروج من المجلس لضرورة شرعية تخصه.

**رابعاً:** عدم اقتصار المعلم على تغيير المنكر فقط بل أهتم بعلاجه وذلك بتوجيه وإرشاد فاعله إلى التوبة إلى الله سبحانه وتعالى للإقلاع عنه.

---

(١) الراغب الأصفهانى، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: أبو اليزيد العجمى، (القاهرة: دار الصحوة، ١٩٨٥م) ص ص ٢٧٢: ٢٧٥.

(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص٢٠٢.

لذلك يجب على المعلم أن يتدرج فى علاج حالات سوء الأدب من تلاميذه متحلياً بالصبر والهدوء والاتزان النفسى "فمن واجب المعلم نحو تلاميذه الصبر على جفاء ربما وقع منه، ونقصٍ لا يكاد يخلو الإنسان عنه، وسوء أدبٍ فى بعض الأحيان، ويبسط عذره بحسب الإمكان، ويوقفه مع ذلك على ما صدر منه ينصح وتلطف لا بتعنيف وتعسف، قاصداً بذلك حسن تربيته وتحسين خلقه" (١)وذلك لأن "التعليم فى الإسلام رسالة قبل أن يكون مهنةً فالمعلم حامل الرسالة وأن همه الرئيسى هو إبلاغ المتعلم إلى كماله الإنسانى فمهمته تتعدى مجرد التعليم إلى النصح والإرشاد وتقويم السلوك" (٢) لتحقيق الصحة النفسية السوية لدى تلاميذه.

د - أن يتحفظ من الرياء والمداهنة فى مجلسه :

الرياء والمداهنة من الأدواء النفسية الخطيرة لأن "الرياء حرام، والمرائى عند الله ممقوت، وهو كمن يعتقد كفراً أو بدعة وهو يظهر خلافه"(٣) فهو "من الأمراض النفسية الخطيرة والأوباء الأخلاقية الضارة التى تحتاج إلى علاج دائمٍ ويقظةٍ مستمرةٍ فلا يصح للمرء أن يغفل أمره حتى يستفحل شره ويتفاقم خطره ويصبح داءً مستعصياً يحبط الأعمال ويعرض صاحبه للشرك بالله الواحد القهار"(٤).

وتنبه فقهاء المالكية إلى عظم خطر هذا الداء النفسى وأكدوا على العالم ضرورة أن يتحرز منه فى نفسه وفيمن حضر مجلس درسه من تلاميذه فيذكر الإمام ابن الحاج "ينبغى للعالم أن يتحرز فى نفسه بالفعل وفيمن جالسه بالقول من هذه البدعة، وهى محبة القيام وفعله والانحناء والركوع والكذب بالألفاظ التى اصطلحوا عليها فيما بينهم

(١) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص١٣٨.
(٢) أحمد عرفات القاضى، الفكر التربوى عند المتكلمين المسلمين، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م)، ص٤١٧.
(٣) محمد على قراعة، مرجع سابق، ص١٧٠.
(٤) عبد الرحمن الجزيرى، مرجع سابق، ج(١)، ص٦٩.

من التزكية والتملق وتكرار ذلك والمداهنة، وهو أن يظهر كل واحدٍ منهم خلاف ما يبطن والتكبر بذلك والاحتقار لمن لا يقام له والرياء بالقيام" (١).

من النص السابق فالمعلم مطالب باجتناب رزائل وعيوب وأمراض وآفات النفس المتمثلة فى الرياء والمداهنة وحب الرياسة والجاه "فليس ذلك عرف المؤمنين أبداً، ولا سمتهم الذى ورثناه، إنما ورثنا الحياء، وعفاف اللسان، واحترام الكبير، وجمال اللفظ والاستغفار للذين سبقونا بالإيمان، وتكرار الدعاء"(٢) لا التعلق والمداهنة التى "تغتال فضائل المجالس الإيمانية اغتيالاً" (٣) فالمعلم مطالب بتجنيب طلابه هذه الداءات النفسية الخطيرة وذلك لعظم مفاسدها وعموم بلواها.

هـ – أن يتحفظ من الكبر والعجب(*) والخيلاء

"من أفضل آداب العالم تواضعه، وترك الاعجاب بعلمه، ونبذ حب الرياسة عنه وروينا عن أيوب السختيانى أنه قال: ينبغى للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لله وعن كعب أنه قال لرجل رآه: تبتع الأحاديث، اتق الله وأرض بالدون من المجلس، ولا تؤذ أحداً. فإنه لو ملأ علمك ما بين السماء والأرض مع العجب ما زادك الله به إلا سفالا ونقصاناً"(٤).

ولذلك يحذر فقهاء المالكية العلماء من الكبر والعجب والخيلاء فيذكر ابن الحاج "ينبغى للعالم أن يتحفظ على نفسه من مشى الناس معه ومن خلفه ومن وطء عقبه وتقديمهم نعله واتكائه على أحدٍ إلا لضرورةٍ شرعيةٍ فإن هذا كله مثاره من الكبر والخيلاء

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٦٤.
(٢) محمد أحمد إسماعيل المقدم، مرجع سابق، ص ص ٣٠٣: ٣٠٤.
(٣) المرجع السابق، ص٣٠٣.
(*) العجب: ظن الإنسان فى نفسه استحقاق منزلة هو غير مستحق له (الراغب الأصفهانى، الذريعة إلى مكارم الشريعة، مرجع سابق، ص٣٠٦).
(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله، قدم له عبد الكريم الخطيب، ط(٢)، (القاهرة: دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٢م)، ص ص ٢٢٣: ٢٢٥.

وقرة النفس غالباً وإن كان فى نفسه متواضعاً لكن ظاهر هذه الأفعال تنافى ذلك وتجر إلى المذموم .

فقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ : أضر ما على الإنسان وطء عقبه أو كما قال ووطء العقب هو المشىُ خلفه" (١).

من هذا النص يهتم فقهاء المالكية بالصحة النفسية للمعلم لأنه محور العملية التعليمية فينبهوه إلى خطورة داء الكبر والعجب وضرورة اتصافه بالتواضع والاتزان الانفعالى حتى يتمكن من نقل ذلك لتلاميذه فيجب على المعلم "أن يطهر باطنه وظاهرة من الأخلاق الرديئة ويعمره بالأخلاق المرضية" (٢).

" فالتكبر على خلق الله من شر الرذائل وأسوأ الصفات لأنه يستلزم مظالم شائنة وجرائم ممقوتة(٣) .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الكبر فقال عليه الصلاة والسلام "لا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من نفاقٍ . ولا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء (*).

ولا يتحقق الاتزان الانفعالى للمعلم إلا بتركه للعجب والكبر وذلك لأن "العجب يدعو إلى الكبر، ويدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، وما يتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه فلا يجتهد فى تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له .

قال الله تعالى :

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ... ﴾ " (٤)

---

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، صص٢٠٢.
(٢) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص١٣٩.
(٣) عبد الرحمن الجزيرى، مرجع سابق، ص١٥١.
(*) مسلم، مرجع سابق، ج(١)، ص٩٣. بلفظ "لا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار من كان فى قلبه حبة خردل من إيمان".
(٤) سورة الأعراف : من الآية ١٤٦ ، محمد على قراعة، مرجع سابق، ص١٥٦.

و - أن يتحلى بالأخلاق الحسنة الكريمة :

من أهم آليات عملية التدريس للمحافظة على الصحة النفسية للطلاب تحلى المعلم بصفات" الحلم والصفح والعفو والتمسك بالأخلاق الكريمة إذ أن الخلق السيئ يبعد المتعلم عن العلم الحقيقى النافع(١).

وقد أكد فقهاء المالكية على ضرورة تحلى المعلم بمكارم الأخلاق حتى يُقبل التلاميذ على عملية التعليم ويشعرون بالأمن والطمأنينة فى تحصيل العلوم النافعة فيذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغى للعالم أن لا ينزعج على ما آذاه ويجاهد نفسه لترتاض فيحسن له بالعفو والصفح. وكذلك لا يؤاخذ من تسلط عليه بالأذية وقلة الأدب ويواجهه بما يواجه به غيره من المحبين والمعتقدين من طيب القول وحسن العبارة، وعدم الجفاء تقرباً بذلك إلى ربه عز وجل، ولا يقابل الشر بمثله؛ لأن من شيم العلماء الحلم والإقالة والصفح والعفو.

فمحمد بن سحنون رحمه الله وكان قاضى بلاد إفريقية إذا قعد لأخذ الدروس أتاه إنسان يتخطى رقاب الناس حتى يصل إليه فيحدثه فى أذنه ساعةً، ثم ينصرف، فبقى كذلك مدةً، وكان إذا أقبل يقول القاضى لجماعته أفسحوا له فيأتى ويفعل العادة، ثم انقطع بعد ذلك مدة فسأل عنه من حضره فقالوا لا نعرف خبره فقال أطلبوه فإذا وجدتموه فأتونى به فوجدوه فأتوا به إليه فأخذه وخلا به وقال له ما منعك من عادتك فقال له يا سيدى لى بنات قد كبرن واحتجن إلى التزويج وأنا فقير فقال لى بعض الناس إن أغضبت فلاناً فنحن نزيل فقرك ونجهز بناتك، فبقيت تلك المدة أجئُ إليك فأقذفك واشتمك وأفعل ما قد رأيت لعلك تغضب يوماً ما ليحصل لى ما اتفقوا عليه فلما أيست من غضبك تركت ذلك إذ لا فائدة فيه فقال له لو أخبرتنى كنت أقوم لك بضرورتك"(٢).

(١) عزت جرادات وآخرون، مرجع سابق، ص٩٥.
(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص١٩٧: ١٩٨.

من هذا النص يجب على المعلمين "التحلى بالآداب الفاضلة، والأخلاق الحميدة"(١).

لأن "المعلم هو المخول بإزالة الأخلاق السيئة واستبدالها بإخلاق حميدة ليسير المتعلم على طريق الآخرة المؤدية إلى الله سبحانه وتعالى"(٢).

فالمعلم "نموذجٌ وقدوةٌ يهتدى به الناس الذين أدركوا دوره التربوى ومرجعهم فى حل مشاكلهم وقضاياهم وما يحدث لهم من أمور حياتهم فيكون العلماء حريصين على تطبيق الدين كسلوكٍ واقعى فى حياة الناس وذلك لأنهم أدركوا حقيقة الدين كعقيدةٍ حيويةٍ تشكل سلوك البشر، وتساهم فى بناء واقعهم الاجتماعى"(٣).

فواجب المعلم "ليس تزويد تلاميذه بالمعارف المختلفة فحسب بل إكسابهم حسن الخلق وكريم الأدب، ولن يستطيع المعلم ذلك ما لم يكن أهلاً لكل خصلةٍ حميدةٍ، وكما هو معروف فاقد الشئ لا يعطيه .

فقد قال السلف الصالح: كانوا يتعلمون الهدى كما يتعلمون العلم، فالمعلم بغير الأدب يضيع أثره ويفقد قيمته"(٤).

وقال الإمام مالك "كانت أمى تعممنى، وتقول لى: اذهب إلى ربيعة فتعلَّم من أدبه قبل علمه"(٥).

ز - المبادرة بأداء العبادات :

المعلم قدوة لتلاميذه فيلزم أن يكون من أهم صفاته "الاستقامة على شرائع الإسلام وأدائها ضمن جماعة المسلمين، إنما يحقق فيها تلك القدوة الظاهرة أمام الطلاب، وبذلك يرى الطالب معلمه بسلوكه العبادى خارج الصف التعليمى كما يراه بسلوكه التعليمى التربوى داخل الصف الدراسى" (٦).

(١) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص١٢٣.
(٢) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوى عند الإمام الغزالى، مرجع سابق، ص٥٣.
(٣) أحمد عرفات القاضى، مرجع سابق، ص ص٤١٩.
(٤) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ١٢٤.
(٥) محمد أحمد إسماعيل المقدم، مرجع سابق، ص١٤١.
(٦) يوسف محمد النجار، مرجع سابق، ص٢٩.

ويذكر الإمام ابن الحاج "إذا حضرت صلاة الفرض فإن كان العالم مشتغلاً بإلقاء العلم إذ ذاك فليترك كل ما هو فيه هو وجلساؤه ويشتغلون به، وهذا المراد بقول القائل ما هو فرض يترك لفرض فيقال هو طلب العلم يترك لأداء الصلاة"(١).

فمن النص السابق يتجلى حرص فقهاء المالكية على ظهور المعلم كنموذج وقدوة للمحافظة على الصحة النفسية لدى تلاميذه "بسلوكه العام وتعريفاته فى المواقف المختلفة بدوام مراقبة الله تعالى فى السر والعلن والمحافظة على خوفه فى جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله فإنه أمينٌ على ما أودع من العلوم وما منح من الحواس والفهوم بمحافظته على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام فيقدم النموذج الطيب الذى يدفع تلاميذه إلى التحلى بكريم الصفات وجميل الأخلاق ويراعى فى العلم والدين عاداته وعباداته، فقد ثبت أن الناس لديهم حاجة نفسية إلى أن يشبهوا الأشخاص الذين يحبوهم ويقدرونهم"(٢).

فالغرض من التربية الإسلامية " التقرب إلى الله بالعلم والمعرفة"(٣).

فبإقامة شرائع الدين والمحافظة عليها تتحقق فى التلاميذ الصحة النفسية والاتزان الانفعالى لأنهم يرون ما يأمرهم به المعلم من الأخلاق الكريمة واتباع الشرع الشريف ظاهراً بيناً فى سلوكه.

- **أدبيات المعلم فى إدارة المحاضرة وإلقاء الدروس :**

ويقصد بها مجموعة المهارات والقدرات التى تتطلب من المعلم الالتزام بها أثناء عرضه ومناقشته لمسائل العلم وهى كالآتى:

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص٢٠٥.
(٢) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ص ١٢٣: ١٢٨.
(٣) عزت جرادات وآخرون، مرجع سابق، ص ٩٣.

أ - أن يتهيا لإلقاء الدرس بذكر الله تعالى والاستعاذة من الشيطان الرجيم :

يهتم فقهاء المالكية بإعداد المدرس وتهيئته لإلقاء درسه لنشر العلم وبذله لأهله ابتغاء وجه اللّٰه تعالى فيترجم ذلك إلى سلوك عملى يذكر اللّٰه تعالى فى بداية شروعه لإلقاء درسه فيذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغى للعالم أن يجمع همته وخاطره عند قراءة القارئ فإذا فرغ القارئ استفتح هو الإقراء فيستعيذ إذ ذاك من الشيطان الرجيم لكى يكفى شره فى مجلسه ذلك ثم يسمى اللّٰه تعالى لكى يعتزله الشيطان لأن كل شيء سمى اللّٰه تعالى فى ابتدائه عزل منه الشيطان وحرم عليه حضوره ثم يصلى على النبى ﷺ لتحصيل البركة فى مجلسه لأن البركة معه عليه الصلاة والسلام حيث ذكرت وحيث كان ثم يترضى عن أصحابه لتكتمل بذلك البركة فى مجلسه لأنهم الأصل الذين أسسوا ما جلس إليه ثم يجعل الحول والقوة للّٰه تعالى بقوله :

"لا حول ولا قوة إلا باللّٰه العلى العظيم" يقولها ثلاث مرات وإن قدر أن يكون سبعاً كان أحسن كذلك كان المحققون من العلماء يفعلون ذلك ثم يسند أمره إلى اللّٰه تعالى ويتوكل عليه فى تسديده وتوفيقه ويفتقر فى ذلك ويضطر إليه لقوله تعالى :

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ... ﴾[1]

ويتعرى إذ ذاك من فهمه وذهنه ومطالعته وبحثه، وأنه الآن كان لا يعرف شيئاً فإن فتح اللّٰه عليه بشيءٍ إذ ذاك كان من اللّٰه تعالى فتحاً منه وكرماً لا لأجل ما تقدم من محاولة المطالعة والدرس والفهم ثم يستخير بربه من عثرات اللسان ومن نزعات الشيطان ومن الخطأ والذلل ثم يتكلم بما تحصل عنده من العلم فى تلك المسألة التى قرأ القارئ ويذكر ما ذكر العلماء فيها ويوجه أقوالهم ويرد ما ذهبوا إليه إلى أصولهم التى استخرجوا الأحكام منها، وهو الكتاب والسنة فيكون فى أثناء ذكره للعلماء يترضى عنهم ويترحم عليهم ويُعرف من يحضره بقدرهم وفضلهم وحق سبقهم"[2].

(١) سورة النمل : من الآية ٦٢ .
(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٢١: ١٢٢.

من هذا النص يرسم الإمام ابن الحاج منهجاً دينياً وشرعياً بحتاً عند جلوس المعلم لإلقاء مسائل العلم، وقد قال حبيب بن أبى ثابت "إن من السنة إذا حدث الرجل القوم أن يقبل عليهم جميعاً، ويفتتح مجلسه ويختمه بتحميد الله تعالى، والصلاة على النبى ﷺ ودعاءٍ يليق بالحال بعد قراءة قارئ حسن الصوت شيئاً من القرآن العظيم [١]، ويضاف إلى هذه الآداب أن يكون المعلم مستقبل القبلة لقوله ﷺ "أن لكل شيء شرفاً وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة" [*].

"وإن مثل هذا الإعداد بما يشتمل عليه من حسن النية وصدق الدافع فى التعليم والاستناد إلى حول الله والاعتماد على قوته، وطلب التثبيت والتوفيق والإعانة والعصمة منه، من شأنه أن يجعل المعلم يستشعر قيمة عمله ويحسن بالمتعة فى ممارسته، وتزداد ثقته فى نفسه واطمئناناً إلى قدراته، فلا يمثل التدريس حينئذ عملاً يتكسب منه، وإنما هو عبادة لله يثاب عليها"[٢].

ومن هذا فقد نبه فقهاء المالكية على ضرورة امتثال السنة عند إلقاء مسائل المعلم لإدراكهم بخطورة وأهمية مهنة التدريس والإفتاء وفضل العلم والتعليم.

**ب- أن يخلص النية فى تعليم أحكام الله سبحانه وتعالى .**

يؤكد فقهاء المالكية على أهمية إخلاص نية العالم عند جلوسه لإلقاء الدرس ليعلم أحكام وأوامر الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ .

ويورد الإمام ابن الحاج "ينبغى للعالم إذا قعد فى مجلس العلم أن يخلص نيته لله تعالى لتعليم أحكام ربه وتعليمها لعله يدخل فى عموم قوله ﷺ :

(١) جمال الدين القاسمى، مرجع سابق، ص ٢٣٥.
(*) أبو شيبة، مرجع سابق، ج(٥)، ص٢٦٥.
(٢) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ٢١٩.

من صلى الفريضة ثم قعد يعلم الناس الخير نودى فى السموات عظيماً(*)، وينفى عنه الشوائب ما استطاع جهده وهذا الذى يلزمه لأنه الذى يقدر عليه .

وأما ما يقع فى قلبه فليس هو مكلفاً بأن لا يقع وإنما عليه إذا وقع يدفعه عن نفسه ويبغضه"(١).

فمن النص السابق يرسى الإمام ابن الحاج مبدءاً تربوياً هاماً وهو إخلاص النية فى تعليم العلم قدر جهده واستطاعته لينتفع الجميع بأحكام الله سبحانه وتعالى فى الأمور الدينية والدنيوية متوكلاً على الله تعالى هذا "التوكل الذى يقوم على الإيمان بالخالق ويترافق مع السعى وبذل المستطاع من الجهد"(٢).

**ج- أن ينهى عن رفع الصوت فى مجلس العلم .**

يحذر فقهاء المالكية من رفع الصوت فى مجلس العلم فيجب أن يعم مجلس العلم الوقار والسكينة فيذكر الإمام ابن الحاج:

"إذا جلس العالم فى مجلس العلم أن يأخذ نفسه بالأدب والاحترام فيتكلم بلطفٍ ورفقٍ ويحذر أن يرفع صوته وأن ينزعج فيؤذى بيت ربه إن كان فيه ويرفع صوته فيخرج عن أدب العلم وعن حد السمت والوقار ويوقع من جالسه فى ذلك لاقتدائهم به وكذا أيضاً يحذر أن يرفع أحد صوته من جلسائه فإن رفع الصوت إذ ذاك فيه محذورات منها رفع الصوت فى العلم، وقد أنكر مالك رحمه الله ذلك ومنها رفع الصوت فى المسجد إن كان فيه، وقد وقع النهى عنه، ومنها قلة الأدب مع العالم الذى حكى مذهبه أو كلامه إذ ذاك إن كانوا فى حديث النبى ﷺ يتذاكرون أو أورده إذ ذاك شاهداً لمسألتهم فهو أعظم فى النهى وأبلغ فى الزجر لقوله تعالى:

---

(*) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله، ج(١)، (القاهرة: دار الفتح، د.ت)، ص
(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٢٧: ١٢٨.
(٢) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوى عند(ابن المقفع، الجاحظ، عبد الحميد الكاتب)، موسوعة التربية والتعليم الإسلامية، (بيروت: دار اقرأ، ١٩٨٥)، ص٢٦٣.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾[1]

ولا فرق بين رفع الصوت عليه فى حياته أو بعد مماته فيقعون بسبب ذلك فى حبط العمل"[2].

ومن هذا النص يجب أن يكون المعلم قدوةٌ لغيره فى مجلس العلم "فلا يرفع صوته زائداً على قدر الحاجة إليه، ولا يخفضه خفضاً لا يحصل معه كمال الفائدة فالأولى أن لا يجاوز صوته مجلسه، ولا يقصر عن سماع الحاضرين"[3].

وينبه تلاميذه إلى النصوص التى ورد فيها النهى عن رفع الصوت ومنها "سُئل مالك عن رفع الصوت فى المسجد بالعلم وغيره ؟

قال : لا خير فى ذلك فى العلم، ولا فى غيره ولقد أدركت الناس قديماً يعيبون ذلك على من يكون فى مجلسه، ومن كان يكون ذلك فى مجلسه كان يعتذر منه، وأنا أكره ذلك ولا أرى فيه خيراً"[4].

ولا بأس فى أخذ المعلم بآليات عملية التدريس والتعليم فى تكرار اللفظ "فإذا لم يفهم عنه أن يكرر كلامه ذلك حتى يفهم عنه ؛ وقد كان بعضهم يستحب أن لا يكرره أكثر من ثلاث مرات .

لما ثبت عن النبى ﷺ أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاث مرات، وذلك عندهم كان ليفهم عنه كل من جالسه من قريبٍ وبعيدٍ، وهكذا يجب أن يكرر المحدث حديثه حتى يفهم عنه أنه قال، وأما إذا فهم عنه فلا وجه للتكرير"[5] مع ضرورة التزام المعلم بآداب رفع الصوت أثناء تكرار ألفاظ مسائل العلم لتفهم منه.

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٢ .
(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٢٣، ١٢٤.
(٣) هشام نشابة، مرجع سابق، ص١٢٢.
(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله، ج(١)، مرجع سابق، ص١٣٩.
(٥) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله، قدم له: عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق ص٢٢١.

د - أن ينهى عن القيام فى مجلس العلم .

ينبه فقهاء المالكية العلماء ومَنْ جالسهم من بدعة القيام أثناء إلقاء وعرض مسائل العلم وذلك من باب حرصهم على صفاء أذهانهم وعدم شرودها عن الغاية التى جلسوا من أجلها وهى الحفظ والفهم والمدارسة، ويذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغى للعالم أن يتحرز فى نفسه بالفعل وفيمن جالسه بالقول من هذه البدعة وهى القيام الذى اعتاده بعضنا البعض فى المجالس والمحافل ؛ لأنه لم يكن من فعل من مضى والخير كله فى الاتباع لهم من القول والفعل والحركة والسكون سيما إن كنا فى مجلس علم فهو أشد فى الكراهة ؛ لأنه لابد وأن يكون يذكر أقوال العلماء فإذا دخل أحد علينا قطعنا ما كنا فيه وقمنا إلى من دخل علينا، فإن كان الداخل صبياً صغيراً أو شاباً أو من لا بال له فى دينه فيكون أعظم فى قلة الأدب مع العالم، فإن كان مجلسنا فى الحديث إذ ذاك فهو أعظم ؛ لأنه قلة أدب مع النبى ﷺ وقلة احترام وعدم مبالاة أن يقطع حديثه لأجل غيره"(١).

ومن هذا النص يجب على المعلم أثناء تدريسه للتربية الإسلامية واللغة العربية ويذكر فيها القرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ وأقوال السلف الصالح من العلماء والصلحاء رضى الله عنهم أجمعين أن يمنع طلبته من القيام احتراماً وتقديراً وأدباً لما يتدارسونه ويطالعونه.

فقد قال الفقيه أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله المروزى:" إذا قام القارئ لحديث رسول الله ﷺ لأحدٍ كتبت عليه خطيئة، ويكره أن يقوم لأحد"(٢).

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٦٠: ١٦٣.
(٢) السيوطى، تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، ج(١)، مرجع سابق، ص١٩٥.

هـ- الحض على لزوم السنة باتباع مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة حض تلاميذه على اتباع السنة واجتناب البدعة فيذكر الإمام ابن الحاج "ينبغى للعالم أو يجب عليه بحسب حاله أن يتحفظ على هذا المنصب الشريف من أن يدنسه بمخالفةٍ أو بدعةٍ يتأولها أو يبيحها أو يسهو عن سنةٍ أو يغفل عنها أو يترك بدعةً مع رؤيتها بسبب الغفلة عنها أو يمر عليه مجلس من مجالس علمه لا يحض فيه على السنة ولا يأمر فيه باجتناب البدعة ؛ لأنه على هذا انعقدت مجالس الفقهاء المتقدمين، وبهذه الأشياء كان يكررون مجالسهم حين كانت السننُ قائمةً والبدعُ خامدةً فكيف به اليوم"(١).

وهنا يرسى الإمام ابن الحاج مبدءاً تربوياً جاداً وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ "فمنهج الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يحتم على كل مسلم أن يكون رقيباً على ما يجرى حوله من أعمال، وما يغيب من أعمال أخرى، ووزن كل ذلك بموازين الشرع، ثم الأمر بما خفى من المعروف والنهى عما ظهر من المنكر على أساسٍ من العلم والمعرفة، وهو منهج يتطلب بحكم فرضيته ولا سيما على من يرى المنكر أن يكون الجميع على شيءٍ من العلم بالضروريات وهى الحلال والحرام والسنن والواجبات، وتكراره يحقق دون شك تثقيف الأمة كلها رجالاً ونساءً دون جهد ولا إرهاق، فهو مدرسة تعليمية تتيح لأكبر قاعدةٍ فى الأمة أن تعرف ما لابد من معرفته، وهو الحلال، والحرام، والمكروه، والسنة، والواجب والبدعة، فى وقتٍ قصير، وبلا نفقات، وبطريقة مكرره تضمن التذكير الدائم، وتشمل كل البيئات فى المجتمع"(٢).

لذلك وجب على المعلم أثناء إدارته للمواقف التعليمية داخل صفه أن يأخذ بهذا المبدأ لأنه يؤدى إلى التعليم الدائم وازدهار الحضارة وانتشار المحبة والتعاون والحد من

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١) ج(١)، ص٩٥.
(٢) الخلال (الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، ت٣١١هـ)، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، نوادر التراث (٢)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٥م)، ص٢٥٨.

الجريمة فى المجتمع "فعن سفيان: إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق"(١).

وقد وجه السلف الصالح إلينا نموذجاً صالحاً صارماً فى التمسك بالسنة، وسد أبواب الذرائع على البدع من خلال التطبيق التربوى الحازم للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ويجب على المعلم عند تطبيقه أن يأخذ فيه بالتدرج "فمن حسن الفطنة ألا يأخذ مرتكب المنكر بالعنف وخاصة فى أول الأمر، بل لا بد من الملاطفة وأخذه بالرفق واللين حتى يميل إلى الاقتناع بخطأ ما يفعل، فذلك أدعى إلى عدم عودته له وإلا يقع تحت طائلة العقاب"(٢).

و - السكينة والوقار وخشوع القلب والجوارح عند البدء فى إلقاء الدرس .

يجب على المعلم "التزام الوقار والسكنية والسمت والخشية فى درسه"(٣) لأهمية ذلك فى عملية التدريس ولذلك يؤكد فقهاء المالكية على التزام العالم بهذه الصفات، فيورد الإمام ابن الحاج:

"إذا شرع العالم فى أخذ الدرس وقرأ القارئ فيحتاج إذ ذاك أن تكون عليه السكينة والوقار فيخشع قلبه وتخشع جوارحه لهذا المقام الذى أقيم فيه وهو أن يبين أحكام الله تعالى لعل بركةً ما يحصل له هو من ذلك أن يشفع به جلساؤه فيتأدبون بأدبه ويتأسون به

وقد روى عن محمد بن الحسن من أصحاب أبى حنيفه حين دخل على مالك فى أصحابه من أهل العراق يريدون سماع الحديث قال: فدخلت فوجدت أصحابه قعوداً بين يديه كأنهم على رءوسهم الطير فقلت السلام عليكم فلم يرد على أحد منهم سلاماً إلا مالكاً فإنه رد السلام فقلت ما بالكم أفى صلاة أنتم فرمقونى بأطراف أعينهم ولم يتكلموا. فالمقصود أن مالكاً كان عنده التعظيم للمقام الذى أقيم فيه فسرى ذلك لطلبته"(٤).

(١)المرجع السابق، ص٥٥.
(٢)سعيد إسماعيل على،بحوث فى التربية الإسلامية، (القاهرة: مركز التنمية البشرية والمعلومات، ١٩٨٧م) ص١٧٤.
(٣)سعيد إسماعيل على، اتجاهات الفكر التربوى الإسلامى، مرجع سابق، ص ص ٩٨: ٩٩.
(٤) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٢١.

وعلى هذا يجب على المعلم إجلال مجلس العلم بالوقار والاحترام والتعظيم والأدب "ويصونه من اللغط"(١).

والمزاح الخارج عن حد الالتزام فيكون "وقوراً مع تلاميذه فلا يرفع التكليف بينه وبينهم ولا يتبسط معهم ولا يضاحك أحداً"(٢) تعظيماً وإجلال لإلقاء ومدارسة مسائل العلم.

وفى موضع أخر يذكر الإمام ابن الحاج "ينبغى للعالم أن يتحرز من المزاح المخرج عن حد الوقار وإن كان المزاح جائزاً إذا كان على سبيل الصواب وإبقاء هيبة العلم ووقاره فقد كان النبى ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً"(٣).

ومن هذا النص وجب على العالم حفظ وصيانة العلم كما حفظه السلف الصالح بالتزام الهيبة والوقار فيكون "بطئ الالتفاف قليل الإشارة، لا يصخب، ولا يلعب ، ولا يجفو ولا يلغو"(٤).

وعلى هذا كانت عادة القدماء وعلى هديهم نهتدى ونسير.

**ز- أن يعود تلاميذه آداب السؤال.**

أورد فقهاء المالكية مجموعة من الآداب والأخلاقيات يجب أن يلتزم بها العالم والمتعلم فى مجلس العلم أثناء إلقاء ومناقشة المسائل وإيراد الأسئلة حرصاً منهم لعموم الإفادة ولأن "الأسئلة تحقق العديد من أغراض التعليم من ذلك أنها وسيلة فى متناول أيدينا، وتعيننا على فحص نتائج التعلم"(٥).

---

(١) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٢٣.
(٢) محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص ١٨١.
(٣) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص٢٠٤.
(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله، قدم له: عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق ص ٢٣١.
(٥) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص٢٢٨.

فمن القواعد والأصول التى أرساها فقهاء المالكية فى هذا المضمار:

- على المتعلم ألا يقاطع المعلم بسؤالٍ أثناء الدرس :

يؤكد فقهاء المالكية على طالب العلم إذا شرع العالم فى إلقاء وعرض درسه ألا يقاطعه أثناء ذلك بل يحسن الإصغاء عليه، ويجب على العالم عدم الالتفات إليه حتى يفرغ من شرح وتوضيح ما هو بصدده من موضوع الدرس، فيورد الإمام ابن الحاج:

"ينبغى للعالم إذا أخذ يتكلم فى الدرس فأوردت عليه المسائل والاعتراضات والتنظيرات أن لا يجيب أحداً عن مسألته وليمضِ فيما هو بسيله ويسكت من أورد عليه برفق أو يأمر من يسكته لأن إذ ذاك يخلط المجلس ولا يحصل بسببه كبير فائدةٍ فيتبين المسألة لنفسه ويوجهها وليستدل لها ويورد عليها ثم يجيب عن ذلك كله بما تحصل عنده من أقول العلماء فى ذلك ثم ينظرها بما يشبهها من المسائل وما يقرب منها ثم يفرع عليها ما يحتمل من التفريع"(١).

وهنا يوجه الإمام ابن الحاج من خلال هذا النص نظرَ كلٍ من المعلم والمتعلم إلى كيفية إدارة الموقف التعليمى فالمتعلم يجب عليه أن يلتزم الصمتَ مع أستاذه "فيصغى إليه إصغاء مستفيدٍ له، متعطشٍ إليه"(٢).

فقد "قال الحسين بن علىٍ لابنه: "يا بنى ! إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت، ولا تقطع على أحدٍ حديثاً- وإن طال- حتى يمسك"(٣).

ويجب على المعلم أثناء إلقاء درسه أن يرد موضوعه إلى الأصول والقواعد فيستدل عليه بالأدلة والشواهد من الكتاب والسنة الشريفة.

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٢٤.
(٢) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٥٦.
(٣) محمد أحمد إسماعيل المقدم، مرجع سابق، ص١٥٦.

**على المعلم أن يتدرج فى شرحه وإلقاء الأسئلة بما يناسب قدرات واستعدادات تلاميذه:**

يؤكد فقهاء المالكية على تأكيد مبدأ الفروق بين المتعلمين فيجب على المعلم التدرج فى طرح مسائل العلم وتوضيحها بحسب قدرات تلاميذه فيذكر ابن الحاج:

"ينبغى للعالم أن يحل أولاً لفظ الكتاب حتى يبين صورة مسألة الكتاب لجميع من حضر الصغير والكبير لأن حل لفظ الكتاب مطلوب من الجميع من الصغير والكبير ممن يحفظ الكتاب وممن لا يحفظه، وهو أقل فائدة حضور مجالس العلم وما يقع عليها بعد ذلك من الكلام فذلك الذى تختلف أحوال الناس فى فهمه فمنهم من يُحصل الجميع ومنهم من يُحصل البعض على قدر ما رزق الله تعالى لكل واحدٍ من الفهم فيكون فى أول مرةٍ يسير سير الضعيف للحديث الوارد عنه عليه الصلاة والسلام "سيروا بسير أضعفكم" (*) فإذا تحصل للضعيف مقصوده، وهو حل لفظ الكتاب حينئذ يرجع فى البيان إلى من أقوى منه ثم يتدرج بعد ذلك قليلاً على ما مر والتأدب وحسن السمت والوقار مستصحب معه فى ذلك كله" (١).

من النص السابق على المعلم "أن يتعامل مع المتعلم على قدر فهمه حتى لا ينفر المتعلم ويخبط عليه عقله"(٢) "فيعطى بحسب قدرات الطالب من المعلومات ومساعدته على استيعابها"(٣) بأن "يلقى إليه الجلى اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً"(٤).

---

(*) القارى (الإمام على بن سلطان محمد الهروى القارى، ت ١٠١٤هـ)، المصنوع فى معرفة الحديث الموضوع، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ج(١)، ط(٤)، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٤هـ)، ص ١١٢. بلفظ "سيروا على سير أضعفكم".
- العجلونى، مرجع سابق، ج(١)، ص ٥٦٣. بلفظ "سيروا على سير أضعفكم".

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٢٤.
(٢) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوى عند الإمام الغزالى، مرجع سابق، ص٥٢.
(٣) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوى عند ابن خلدون وابن الأرزق، مرجع سابق، ص٨١.
(٤) محمد جواد رضا، مرجع سابق، ص١٣٠.

- أن يتيح المعلم الفرصة كاملة لتلاميذه لكى يناقشوه ويباحثوه :

يؤكد فقهاء المالكية على المعلم أن يستمع إلى آراء طلبته وأدلتهم وشواهدهم بعد فراغه من شرح موضوعه لتوجيههم وإرشادهم إلى الصواب ملتزماً فى ذلك بآداب العلم وآلياته لتعم الفائدة والإفادة فيورد الإمام ابن الحاج:

"فإذا فرغ ما عنده من العلم فى ذلك والبيان فليعطِ إذ ذاك سكته ويعلم من حضره ممن يريد الكلام فمن كان عنده شيء فليورده الآن فإذا كان بقى شيء أورده إذ ذاك فيتنبه فيه فإن فعل تبينت المسائل لكل الحاضرين وانتفعوا"(١).

من هذا النص وجب على المعلمين إفساح المجال لطلابهم لمناقشة ما تم شرحه ليزداد توضيحاً فتثبت بذلك مسائل العلم فى أذهان الطلاب وتعم الإفادة جميع جلساء الموقف التعليمى.

- احترام المتعلم لزملائه بعدم مقاطعة صاحب السؤال حتى يفرغ من كلامه

المتعلم – فى مجلس العلم- مطالب بتقدير واحترام زملائه ومن أوليات هذا الاحترام ألا يقاطع صاحب السؤال ولا يتكلم أثناء عرضه لمسألته "بما لا يتعلق به، أو بما يقطع عليه بحثه"(٢).

وينبغى للمعلم حث ذلك فى تلاميذه فلا يجيب أحداً إلا بعد فراغ صاحب المسألة.

وفى هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج "ينبغى للعالم إذا أوردت عليه المسائل والاعتراضات أن لا يجيب عن ذلك حتى يفرغ صاحب السؤال بكلامه إلى آخره أو المعترض باعتراضه إلى آخره لأن الكلام إنما هو بآخره. وكذلك ينبغى له أن يتحفظ فى حق مَنْ جالسه أن لا يجيبوا عن المسائل حتى يفرغ من يلقيها إلى آخر كلامه. وكثيراً ما يقع هذا

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٢٥

(٢) أحمد محمد إبراهيم فلاته، آداب المتعلم فى الفكر التربوى الإسلامى، (المدينة المنورة: دار المجتمع، ١٩٩٣م) ص١٥٠.

اليوم نجد أحد الطلبة يريد أن يتكلم على مسألة أو يعترض عليها أو يعارضها أو ينظر بها أو يستدل لها فيقطع الكلام فى فمه"[١].

ومن هذا النص يوجه الإمام ابن الحاج إلى حدود العلاقة الأدبية والعلمية بين طلبة العلم فى المجلس فعلى طالب العلم "أن يتأدب مع حاضرى مجلس الشيخ، ويحترم أقرانه فإذا شرع بعضهم فى درس فلا يتكلم بكلام يتعلق بدرس فرغ ولا بغيره مما لا تفوت فائدته"[٢].

وينبه الإمام ابن الحاج بذكره "قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أدركت الناس وهم يتعلمون السكوت ثم هو اليوم يتعلمون الكلام. فيحذر- العالم- أن يفعل ذلك فى نفسه وكذلك يحذر أن يقع ذلك فى مجلسه"[٣].

وفى هذا التوجيه إنما قصد الإمام ابن الحاج به أن تدوم العلاقة بين المتعلم وزملائه فى الدراسة على أساس من الود والمحبة حتى يتسنى لهم تبادل الخبرات التعليمية والتربوية.

- **أدبيات المعلم فى التزام آداب تعليم العلم :**

أدرك فقهاء المالكية خطورة مهنة التدريس فألزموا العالم بمجموعة من الآداب فى تعليم العلم لطلابه ليتحصلوا على أكبر قدر من المعلومات والمهارات والخبرات المربية وتكون عملية التعليم لهم مرضيةً ومتوافقةً مع قدراتهم ومهاراتهم واستعداداتهم ومن هذه الآداب والقواعد والأصول ما يلى:

**أ - أن يحث المعلم طالب العلم إخلاص النية فى طلبه :**

على المعلم أن يربى فى المتعلم القيم الدينية التعبدية ويعينه على تصحيح نيته "فيطهر قلبه من أغراض الدنيا وأدناسها"[٤]

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٢٦.
(٢) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٦٥.
(٣) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)١٢٦.
(٤) السيوطى، تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، مرجع سابق، ج(٢)، ص١٨٩.

ويوجه كل طاقاته واستعداداته لطلب العلم بغرض التقرب إلى اللّه سبحانه وتعالى وابتغاء رضاه وامتثال أوامره وتجنب نواهيه، وعلى المعلم تنمية هذه النية وتحسينها لديه.

ويذكر الإمام ابن الحاج "إذا كان المتعلم هو الداخل لطلب العلم بنفسه، فإن كان عالمٌ أو وليه هو الذى يرشده لذلك فتعين على العالم أو الولى أن يعلمه النية فيه، وليحذر أن يرشده لطلب العلم بسبب أن يرأس به، أو يأخذ معلوماً عليه(١).

من هذا النص يوجه الإمام ابن الحاج المعلم إلى أن يرشد المتعلم إلى مزج طلب العلم بالتعبد فى أول طلبه .

وعن الحسن قال: "قد كان الرجل يطلب العلم، فلا يلبث أن يُرى ذلك فى: تخشعه وهديه، ولسانه،وبصره، وبره"(٢).

ب- الشفة والرفق فى معاملة الطلاب :

من مبادئ التربية الإسلامية إلزام المعلم فى الأخذ بالشفقة والرفق فى معاملته لطلابه "فعلى المعلمين أن يكونوا رفقاء من تعليم النشيء، فلا يكرهونهم على العلم فيغضوه، ولا يهملونهم عن متابعته فيتعودوا اللهو"(٣).

لقوله ﷺ إنما أنا لكم مثل الوالد لولده"(*).

ويؤكد فقهاء المالكية هذا المبدأ التربوى فى عملية التدريس إدراكاً منهم بعظيم شأنه فى دوام العلاقة التعليمية والأدبية بين المعلمين والمتعلمين على الوجهة الصحيحة فيذكر الإمام ابن الحاج:

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص١١٤.
(٢) محمد أحمد إسماعيل المقدم، مرجع سابق، ص١٤٦.
(٣) أحمد عرفات القاضى، مرجع سابق، ص٤٢٥.
(*) - ابن خزيمة (الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمى النيسابورى، ت ٣١١هـ)، صحيح ابن خزيمة تحقيق مصطفى الأعظمى، ج(١١)، (بيروت: المكتب الإسلامى، ١٩٧٠م).
- ابن ماجة، مرجع سابق، ج(١)، ص١١٤.

"ينبغى للعالم أن يحترز فى حق غيره ممن يجالسه أو يباشره كما يحترز فى حق نفسه أنه إذا رأى أحداً من جلسائه قد خالف سنةً أو ارتكب بدعةً أو تهاون بشيءٍ من ذلك نهاه بلطفٍ وعلمه برفق .

فقد قال تعالى فى التغيير على عدو من أعدائه منازع له فى ملكه.

قال الله تعالى :

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ... ﴾(١)

فإذا كان هذا فى حق العدو المتمرد فما بالك فى حق أخٍ مسلمٍ رفيقٍ جليسٍ جاء مسترشداً متعلماً فيجب أن يرفق به فيأخذ أمره باللطف والسياسة لئلا يتغير لأن الغالب على النفوس النفور عند زجرها عن شئ فيحتاج العالم إذ ذاك إلى أمرين ضدين لابد له من اجتماعهما: مراعاة جانب السنة والتغيير والانزعاج عن مخالفة شيء منها، والرفق المأمور به فى حق إخوانه المؤمنين كل على قدر حاله قال رسول الله ﷺ "علموا وارفقوا ويسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا(*) فيكون هذا العالم إذا رأى شيئاً من هذه الأخلاق فى أحدٍ من إخوانه أو جلسائه أو المسترشدين منه ينظر فيهم بمقتضى السنة والاتباع فيرضى لرضا الشرع ويغضب لغضب الشرع فإذا كان كذلك فيرجى الخير والبركة ويكون قريباً من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه فى اتباعه لأنه عليه الصلاة والسلام كان أحسن الناس خلقاً فإذا رأى شيئاً من جرم الله ينتهك كان أسرع الناس إليها نصرةً. فإذا حصلت هذه الحمية والنصرة للعالم فيحتاج أن يكون معهما الرفق فلا ينفرهم بل يستحليهم ويسرق طبائعهم بالسياسة حتى يردها إلى قانون الاتباع"(٢).

(١) سورة طه : من الآية ٤٤ .
(*) أحمد بن حنبل، مرجع سابق . ج(١)، ص ٢٨٣.
(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٢٠: ١٢١.

فمن هذا النص يجب على المعلم "أن يكون رفيقاً بتلاميذه ولا يعنف متعلماً ولا يحقر ناشئاً ولا يستصغر مبتدئاً"(١).

لقوله ﷺ : لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون"(*) لذلك فمن أهم أدوار المعلم أن يأخذ نفسه بالحنو والشفقة مع تلاميذه فلا يزجرهم من سوء الأخلاق وارتكاب المحرمات والمكروهات أو ما يؤدى إلى فساد حال أو ترك اشتغال، بل بطريق التعريض ما أمكن لا بطريق التصريح، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة"(٢).

وهذا المبدأ التربوى الذى تنبه إليه فقهاء المالكية "ما تستهدفه التربية المعاصرة من أن يكون المعلم رائداً اجتماعياً ومرشداً نفسياً وموجهاً تربوياً لتلاميذه"(٣). "فأنجح المعلمين هم أشدهم حباً لتلاميذهم وأكثرهم رعاية لهم وشفقة عليهم ورفقاً بهم"(٤).

### ج- مراعاة الفروق الفردية .

يجب على المعلم مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين "بأن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه"(٥). لأن "المتعلمين يكتسبون التعليم وفق قدراتهم ووفق الطريقة التى يستطيع المعلم أن يستخدمها لتعليم الناشئة" (٦). "فمعرفة المعلم بتلاميذه من أهم عوامل نجاحه فى عمله، وتوفيقه فى أداء رسالته فكل متعلم فريد فى نوعه" (٧).

ويؤكد فقهاء المالكية على هذا المبدأ فيذكر الإمام ابن الحاج "ينبغى للعالم أن يعامل كل أحدٍ على حسب حاله وما يليق به من اللطف والسياسة والشدة والغلظة لأن الناس لم

(١) محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص ١٨١.
(*) الديلمى، مرجع سابق، ج(١)، ص٧٩.
(٢) عبد الله دخيل الفياض، تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدى الصادق والطوسى، ط(٢) (القاهرة: الدار المتحدة، ١٩٨٣م)، ص١٦٢.
(٣) لطفى بركات أحمد، فى الفكر التربوى الإسلامى، (الرياض: دار المريخ، ١٩٨٢م)، ص٩٥.
(٤) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص١٢٧.
(٥) محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص ١٣٠.
(٦) عزت جرادات وآخرون، مرجع سابق، ص ٩٨.
(٧) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ١٢٠: ١٢١.

يتساووا فرب شخص لا يرجع إلا باللطف فإن أخذته بالشدة نفرته ورب شخصٍ لا يرجع إلا بالغلظة فإن أخذته باللطف أطمعته وقل أن ينتهى"[١].

فيجب على المعلم أثناء طرحه لمسائل العلم وشرحها مراعاة التدرج فى إلقائها حيث إن "اللّه تعالى خلق لكل نوع من هذه العلوم والآداب أمةً من الناس، وجعل فى حيلة نفوسهم محبة معرفتها، ومكنهم من طلبها وتعلمها" [٢] فيجب على المعلم ألا يقدم لتلاميذه تعليماً واحداً، وبطريقة تدريس واحدة، ذلك لأن كل فردٍ يختلف عن سواه.

وقد ثبت "أن لكل فرد عالمه الخاص الفريد، وشخصيته المتميزة عن باقى الأفراد وله حاجاته وقدراته وميوله، وهو يختلف عن كل من سواه بسبب سماته الموروثة ونصائحه المكتسبة" [٣].

ويتضح مما سبق مدى تأثر فقهاء المالكية بمبدأ الفروق الفردية بين المتعلمين والذى سبقوا به رواد التربية الحديثة والباحثون فى الدراسات النفسية المعاصرين.

د - العدل والموضوعية فى معاملة الطلاب .

من أهم آداب التعليم التى يجب على المعلم الالتزام بها " أن يكون عادلاً بين تلاميذه وأن يعاملهم معاملةَ سواء دون اعتبار للمكانة الاجتماعية أو الجاه أو السلطان"[٤].

وقد أكد فقهاء المالكية على هذا المبدأ فيذكر الإمام ابن الحاج:" ينبغى للعالم أن لا يكون فى مجلسه مكان مميز لأحد الناس بل كل ما سبق لموضع فهو أولى به كما هو مشروع فى انتظار الصلاة، ولا يقام أحد من موضعه جبراً ويجلس فيه غيره للنهى من صاحب الشريعة ﷺ عن ذلك اللهم إلا أن يكون الموضوع معلوماً عن الناس أنه لا يجلس فيه إلا

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج (١)، ص١٢١.
(٢) أحمد على الفيش، مرجع سابق، ص١٩٧.
(٣) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص١٢٢.
(٤) محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص ١٨١.

فلانٌ، وهم محتاجون إليه فى فتواه وعلمه، فإن جلس فى غيره لم يعلم مكانه أو يعلم بمشقة فهذا مستثنى مما نهى عنه "(١).

وهنا يرسى الإمام ابن الحاج مبدأ تكافؤ الفرص فى التعليم ويؤكد على " الحرص على الموضوعية فى الحكم على الطلاب ومعاملتهم فإن كان بعضهم أكثر تحصيلاً، وأشد اجتهاداً، أو أبلغ اجتهاداً، أو أحسن أدباً، فأظهر إكرامه وتفضيله وبين أنَّ زيادة إكرامه لتلك الأسباب، فلا بأس بذلك، لأنه ينشط ويبعث على الاتصاف بتلك الصفات"(٢).

وذلك لأن "من خصائص المعلم الجيد العدل فى معاملة التلميذ، والبعد عن الهوى فى الحكم عليهم والتعامل معهم، لأن قدراً من الصحة النفسية يتوقف- عند الطالب- على نوع المعاملة التى يتلقاها من المعلم وكلما خلت معاملة المعلم من تفضيل تلميذاً على آخر- بغير حق- كانت فرصة هذا التلميذ مواتية لكى ينمو نمواً سليماً" (٣).

**هـ- أن يتفقد طلابه أثناء الدرس .**

يجب على المعلم أن يتفقد طلابه أثناء الدرس لأن ذلك يعد من أهم مهامه التربوية والتعليمية "وأن يراقب أحوال الطلبة فى آدابهم، وهديهم، وأخلاقهم، باطناً وظاهراً" (٤).

وأن يزجرهم عن سوء الأخلاق وارتكاب المحرمات والمكروهات أو ما يؤدى إلى فساد حال، أو إساءة أدب أو عشرة بما لا يليق وغير ذلك"(٥).

ويؤكد فقهاء المالكية على التزام العالم بهذا المبدأ الذى يُعد أصلاً فى العملية التربوية فيذكر الإمام ابن الحاج" ينبغى للعالم أن يتفقد إخوانه وجلساءه فى أثناء المسائل والفروع بمعرفة السنة والعمل بها والتنبيه عليها ومعرفة فضلها وعلو قدرها وقدر من يعمل بها

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج (١)، ص١٩٧.
(٢) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٣٤.
(٣) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص١٣٥.
(٤) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٣٥.
(٥) يوسف محمد النجار، مرجع سابق، ص٤٨.

ويتبعها وتجنب البدعة والتحذير منها وما يحصل بها من المقت لفاعلها فإنه هذا العلم اليوم هو الأصل، وهو الذي يتعين فرض عين على أكثر الناس"[١].

ويؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة الابتعاد عن الحشو وكثرة المعانى فيذكر الإمام ابن الحاج "نجد كثيراً من طلبة هذا الزمان يقعدون فى مجالس العلماء وهم صغار ويشبون وهم على ذلك الحال فى حضور المجالس وقل أن تجد منهم من إذا ذكرت له سنة أو بدعة يعرفها أو يتنبه لها لما قد تربى عليه فى ترك هذا الفن إلا قوله إن كان حاذقاً نبيهاً ذهب الشافعى إلى كذا، وذهب مالك إلى كذا، وقال ابن القاسم كذا، وقال الربيع كذا فيبحث فى بعض الفروع ولا يعرف غير ذلك"[٢].

لذلك يجب على المعلمين "توجيه التلاميذ إلى أفضل طرق المذاكرة والتحصيل، فليس عمله مجرد حشو أذهانهم بالحقائق والمفهومات بل من صميم مسؤولياته إرشادهم إلى خير طرق التعلم"[٣]. وأن يلجأ المعلم "إلى التلخيص والاختصار"[٤].

ويربى فى التلميذ "ملكة الاجتهاد"[٥].

- **التزام المعلم أدبيات الجلوس فى درسه :**

يضع فقهاء السادة المالكية مجموعة من الآداب والقواعد والأصول التى يجب على العالم التزامها أثناء جلوسه لإلقاء وعرض دروس ومسائل العلم. فمن أهم هذه الآداب :

أ - أن يجلس فى مكان بارز:

يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة جلوسه فى مكان ظاهر ليسهل على الطلبة مناقشته وحواره والإفادة منه فيذكر الإمام ابن الحاج "يستحب للعالم أن يكون بارزاً للناس ليصل إليه الضعيف والمسكين والعامى والجاهل لكى يسمعوا أحكام ربهم عليهم ومن

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج (١)، ص١٢٧.
(٢) المرجع السابق، م(١)، ج (١)، ص١٢٧.
(٣) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق،ص ١٣٥
(٤) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوى عند ابن خلدون وابن الأزرق، مرجع سابق، ص٨١.
(٥) أحمد على الفيش، مرجع سابق، ص١٩٠.

كانت له مسألة يجهلها، ولم يسأل عنها سمعها واستفادها حين إلقاء المسائل والإيراد عليها والجواب عنها .

وقد يكون ذلك تنشيطاً له لطلب العلم والبحث عنه والعمل علىتحصيله فيرجع إلى الله تعالى ويتوب من جهله ؛ وتحصل له بركة العلم وحضور المجلس، لأن هذا المجلس الذى جلسه هذا العالم هو المجلس المشهود خيره المعروف بركته .

وقد قال رسول الله ﷺ "ما من قوم يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده" (*)(١).

من هذا النص يجب على المعلم "أن يأخذ موضعاً يراه فيه جميع الطلاب" (٢).

حتى تتاح له فرصة الالتفات" إلى الحاضرين، ويخص من يكلمه أو يسأله، أو يبحث معه"(٣).

مما يساعده على القيام بدوره ومهامه التربوية والتعليمية تجاه طلابه على أكمل وجه فتشمل الإفادة منه جميع الطلاب.

**ب- أن يكون قريباً من طلبته :**

يؤكد فقهاء المالكية على العالم أن يجلس قريباً من طلابه إيماناً منهم بضرورة وأهمية أن يلم المعلم بحالة طلابه الشعورية واللاشعورية ويضبط شرود تفكيرهم وهذا لا يتحقق إلا إذا كان قريباً منهم مراقباً لحركاتهم وسكناتهم، فيذكر الإمام ابن الحاج:

---

(*) النووى، رياض الصالحين، تحقيق: محمد محمود عبد العزيز وآخرون، (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠١م)، ص ص ٣٠٩: ٣١٠. بلفظ "ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدراسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده".

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج (١)، ص٩٤.

(٢) مصطفى رجب، مع تراثنا التربوى: شخصيات ونصوص، مرجع سابق، ص ٩٧.

(٣) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٢١.

"ينبغى للعالم أن يتحرز من هذه الحلقة التى تعمل له فى كون الطلبة يبعدون عنه والسلف كانوا لا يبعدون بل تمس ثياب الطلبة ثياب المدرس لقربهم منه، والخير كله فى الاتباع فإن كان ذلك للرياسة فذمه أشد" (١).

وقرب المعلم من طلبته أدوم لتأكيد أواصل العلاقة التعليمية والأدبية الإنسانية مع طلبته وإدامة المحبة والود بينهم مما يكون له عظيم الأثر فى عملية التعليم والتربية.

**ج- سهولة وصول طلبة العلم إليه:**

فمن أهم معوقات العملية التعليمية فى هذا العصر اتخاذ المعلمين النقيب والحاجب مما جعل وصوله طلاب العلم إلى المدرس أمراً شاقاً ناهيك عما يتعرض له هؤلاء الطلبة من جانب النقباء والحجاب من الزجر والإهانة عند إيرادهم مسائل العلم على المدرس ومناقشته وحواره وإبراز الاعتراضات والتنظيرات والأدلة والشواهد، وسوف نناقش ذلك فى الفصل التالى إن شاء الله المعنون بـ "المؤسسات التعليمية والتربوية فى ظل المذهب المالكى".

فيؤكد فقهاء المالكية على تحرز العالم من هذه البدعة التى تعوق نشر العلم وبذله لأهله فيذكر الإمام ابن الحاج: "ينبغى للعالم ألا يتشبه بالملوك فى اتخاذ البوابين والحجاب ومن يمشى بين يديه من الطرادين حتى قل من يصل إليه من المضطرين والمحتاجين إلى مسألةٍ واحدةٍ من العلم فيتخيلون فى الوصول إليه بوسائط كما يفعل الملوك وهذا الحال لا يليق بأهل العلم بل هو من فعل الجبابرة المتكبرين والغالب من بعض العوام اليوم الشرود عن العلم والنفور عن أهل الخير لغلبة الجهل وقلة الهمة بغير سبب فكيف بهم إذا وجدوا السبب ويعسر عليهم أمر السؤال إلا بمشقةٍ فيقع الفرار والشرود أكثر"(٢).

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج (١)، ص١٩٧.
(٢) المرجع السابق، م(١)، ج(٢)، ص٨٢.

فمن هذا النص إذا كان "العلماء من بنى البشر أبعد عن السياسة ومداخلها" [١].

وذلك بحرصهم على نشر العلم وبذله لأهله تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى وامتثال أوامره، فكيف بهم يتشبهون برجال السياسة فى اتخاذهم للحجاب مما يعوق أدائهم لعملهم ويحجب علمهم عن طلابهم ومبتغيهم فوجب عليه أن ينزه من هذه البدع.

**د - عدم الجلوس على حائل مرتفع دون من معه :**

يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة التزامه بأخلاقيات وآداب التدريس فلا يجلس على موضع مرتفع دون طلبته إلا لضرورة شرعية فيذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغى للعالم أن لا يجلس على حائلٍ مرتفع دون من معه؛ لأنه فى ذلك صورة الترفع على غيره، وليس ذلك من شيم العلماء إذ أن من شأن المدرس التواضع. وقد سئل مالك رحمه الله عمن يجلس فى المسجد على شيءٍ مثل فروة أو بساطٍ، أو شيءٍ يتكئ عليه فكره ذلك وعابه وقال: أتتخذ المساجد بيوتاً ورخص ذلك للمريض. وقد كان الإمام أبو محمد المرجانى رحمه الله أصابهُ مرض فاتخذ الدرس فى بيته فى ناحية منه لأجل مرضه، فلما أن كان من الغد خرج من تلك الناحية فقعد خارجاً عنها فقيل له: هلا تقعد بموضعك بالأمس؛ لأنه أكن لك لأجل مرضك فقال: إن ذلك الموضع فوق جلسائى وكان الموضع علوه عن أصحابه عرض أصبعين، فقال له: يا سيدى هذا شيءٌ يسير، فقال: لو وجدت سبيلاً أن أحفر حفرة تحت الأرض فأقعد تحت جلسائى لفعلت[٢].

ومن هذا النص يجب على المعلم أن يقتصد فى جلوسه فيبعد عن دناءات الكبر والعجب ويتصف بالتواضع ويترجم ذلك إلى سلوك عملى بألا يطلب الرفعه فى مجلسه وأن يقعد بين يدى طلابه قريباً منهم متأسياً فى ذلك بالسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين فلا يجلس على موضع مرتفع إلا لضرورة شرعية كما :

(١) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوى عند ابن خلدون وابن الأزرق، مرجع سابق، ص٧٨.
(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج (١)، ص١٩٢.

"روى عن أبى هريرة وأبى ذر رضى الله عنهما قالا كان النبى ﷺ يجلس بين ظهرانى أصحابه فيجئ الغريب ولا يدرى أيهم هو حتى يسأل وطلبنا إلى النبى ﷺ أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذ أتاه فبنينا له دكانا من طين: فكان يجلس عليه ونجلس بجانبه"(١).

وهنا تتجلى الضرورة الشرعية فيجب على المعلم التنبه إلى ذلك وجعله من أخلاقياته وآدابه فى مجلسه.

هـ - أن يلتزم آداب الجلسة الشرعية:

اهتماماً من فقهاء المالكية بضرورة أن يظهر العالم على أكمل وجه ممكن أثناء جلوسه مع طلبته لتعليمهم أحكام ربهم سبحانه وتعالى وسنة نبيه محمد ﷺ يورد الإمام ابن الحاج "ينبغى للعالم أن يحذر من أن يتكئ على اليد اليسرى إذا جعلها من خلفه قليلاً ويتكيء على شحمتى أصل كفة تلك لما ورد أن تلك الهيئة من فعل المغضوب عليهم"(٢).

من هذا النص يجب على المعلم ألا يجلس متكئاً على يده اليسرى أو "إلى جنبه أو وراء ظهره"(٣). فيجلس "متربعاً متخشعاً"(٤). مستقبلاً القبلة لحديث الرسول ﷺ "إن لكل شيء شرفاً وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة"(*).

ومن العرض السابق لآداب جلوس العام فى درسه نجد اهتماماً عظيماً من فقهاء المالكية بضرورة أن يكون جلوس العالم فى درسه على الوجه الشرعية ملتزماً بمجموعة من الآداب والأخلاقيات تجعله نموذجاً وقدوةً لتلاميذه من طلاب العلم.

(١) السمعانى، أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق: شفيق محمد زيعون، مرجع سابق، ص١١٨.
(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج (١)، ص١٩٩.
(٣) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٢٠.
(٤) مصطفى رجب، مع تراثنا التربوى: شخصيات ونصوص، مرجع سابق، ص٩٧.
(*) - الحاكم النيسابورى، مرجع سابق، ج(٤)، ص٣٠٠
- البيهقى، سنن البيهقى الكبرى، مرجع سابق، ج(٤)، ص٢٧٢.
- أبو شيبة، مرجع سابق، ج(٥)، ص٢٦٥.
- القضاعى، ج(٢)، ص١٢٤.

٢- آداب المعلم فى بيته ومع أهله :

يؤكد فقهاء المالكية على وجوب التزام أهل العالم بأحكام وشرائع الإسلام انطلاقاً من أن "العالم قدوةٌ للمقتدى، فإذا فعلت زوجته شيئاً نسب ذلك للشرع، وصار حجةً فى الدين غالباً، فيتعين عليه أن يتحفظ على تصرف أهله كما يتحفظ على تصرفه فى نفسه.

وقد ورد الحديث عن النبى ﷺ أنه قال"النساء شقائق الرجال"(*). فى امتثال الأوامر والنواهى"(١).

ويورد فقهاء المالكية مجموعة من الآداب والفضائل والقيم التى يجب على العالم أن يكسبها لأهله وواجباته نحوهم فى الرعاية الدينية والتعبدية منها:

أ - أن يتفقد أهله بمسائل العلم:

أوجب فقهاء المالكية على الزوج أن يعلم زوجته أحكام الغسل والحيض "وأحكام الصلاة وما يقضى منها فى الحيض وما لا يقضى ، فإنه أمر بأن يقيها النار .

قال الله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ... ﴾ (٢)

فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة، ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها ويخوفها الله إن تساهلت فى أمر الدين. فإن لم يعلم الرجل زوجته هذه الأحكام فليس له أن يمنعها من الخروج من بيتها تسأل العلماء، فإن منعها الخروج فهو آثم قد عصى الله سبحانه"(٣). فإذا كان الرجل مطالب بتعلم أهله فالعالم أحق وأوجب.

---

(*) - ابن الجارود، مرجع سابق، ج(١)، ص٣٣.
- الترمذى، سنن الترمذى، مرجع سابق، ج(١)، ص١٩٠.
- الحسينى (الإمام إبراهيم بن محمد الحسينى ت ١١٢٠هـ)، البيان والتعريف، تحقيق: سيف الدين الكاتب ج(١)، (بيروت: دار الكتاب العربى، ١٤٠١هـ) ص٢٦١.
- أبو يعلى (الإمام أحمد بن على بن المثنى أبو يعلى الموصلى التميمى ت ٣٠٧هـ)، مسند أبى يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، ج(٨)، (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٤م)، ص١٤٩.

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٥٧.
(٢) سورة التحريم : من الآية ٦ .
(٣) على عبد الحليم محمود، المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، ط(٢)، (المنصورة: دار الوفاء، ١٩٩١م)، ص١٢٧.

وفى هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج" ينبغى للعالم أن يتفقد أهله بمسائل العلم فيما يحتاجون إليه، لأنه جاء تعليم غيرهم طلباً لثواب إرشادهم فخاصته ومن تحت نظره أكدُ، لأنهم رعيته ومن الخاصة به، فيعطيهم نصيبهم فيبادر لتعليمهم لآكد الأشياء فى الدين أولاً وأنفعها وأعظمها فيعلمهم الإحسان ويعلمهم الوضوء والاغتسال وصفتهما والتيمم والصلاة وما فى ذلك كله من الفرائض والسنن والفضائل؛ وكل ما يحتاجون إليه من أمر دينهم الأهم فالأهم، كما ينبغى أن يتفقد أهله فى القراءة إذ أن القراءة على ثلاثة أقسام واجبةٌ وسنةٌ وفضيلةٌ فالواجبة قراءة أم القرآن على كل مصلٍ بجميع حروفها وحركاتها وشدَّاتها؛ لأن من لم يحكم ذلك فصلاته باطلةٌ إلا أن يكون مأموماً والسنةٌ سورة معها والفضيلة ما زاد على ذلك فمن غير الفرائض فيتعين على العالم أن يعلم عبده وأمته الصلاة والقراءة وما يحتاجان إليه فى أمور دينهما كما يجب ذلك عليه فى زوجته وولده إذ لا فرق؛ لأنهم من رعيته"(١).

ويشير هذا النص إلى ضرورة قيام المعلم بدورة التربوى والتعليمى داخل بيته مع أهله بنفس الجدية والاجتهاد كما يؤديه مع طلابه داخل الصف الدراسى إذ هم رعيته قال رسول اللّه ﷺ : "والرجل راعٍ فى بيته، وهو مسئولٌ عن رعيته"(*).

فهو مطالب شرعاً بتوضيح أمور العبادات والأحكام والطاعات وأوامر اللّه لهم وذلك لأن "من أهم أهداف التربية الإسلامية تحقيق الهدف الدينى بالعمل للإعداد للآخرة"(٢).

وضرب فقهاء المالكية القدوة والمثل فى ذلك فقد" علم أسد بن الفرات بنته أسماء وعنى الإمام سحنون بتعليم بنته خديجة"(٣).

---

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ٢٠٧: ٢٠٨.

(*) أبو عوانة (الإمام يعقوب بن إسحاق الأسفرائينى أبو عوانة، ت ٣١٦هـ)؛ مسند أبى عوانة، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقى،ج(٤)، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨م)، ص٣٨٢.

(٢) عزت جرادات وآخرون، مرجع سابق، ص ٩٧.

(٣) محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص ١٦٩.

ب - أن يفسح المجال لزوجته لتعليم النساء :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة قيام زوجة العالم بدورها التربوى تجاه تعليم النساء والفتيات أمور وأحكام الدين وشرائعه.

ويورد الإمام ابن الحاج "ينبغى للعالم أن يمنع أهله من الاجتماع بالنسوة مهما أمكنه إلا لضرورة شرعيةٍ مثل أن يكون من النساء من يستحين أن يسألن الرجال .

فقد مضى فعل السلف على أن زوجة العالم تبلغ عنه أحكام الشرع للنساء عموماً ولبعض الرجال خصوصاً من وراء حجاب .

ويؤخذ من ذلك تعليم زوجة العالم للناس لقوله ﷺ :تركت فيكم الثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وعترتى أهل بيتى"(*)

لأن أهل بيته ﷺ ورضى عنهم لم يزالوا يبلغون عنه ﷺ الأحكام الشرعية .

وقد كان كبار الصحابة رضى الله عنهم إذا وقع الاختلاف بينهم فى بعض المسائل أرسلوا إلى بعض أزواجه ﷺ يسألونهن فيرجحون إلى ما يفتين به فهذه سنة ماضية"(١).

فمن هذا النص يتضح إلزام العالم بأن يوسع المضمار لزوجته للقيام بأداء رسالتها التربوية مقتدياً فى ذلك بصاحب العصمة ﷺ فقد كان لأمهات المؤمنين -رضى الله عنهن- فضل عظيم فى تبليغ الدين، ونشر السنة النبوية بين الناس، وخاصة بين الناس، فكانت حجراتهم- رضى الله عنهن- مدارس يقصدها طلاب العلم، فيجد السائل عندهن جوابه والمستفتى فتواه، والشاك يقينه ومن نعمة الله تعالى على هذه الأمة أن تعددت هذه المدارس بتعدد زوجات ﷺ ، حيث توفى عليه الصلاة والسلام عن تسع نسوة كلهن سمعن منه وشاهدن تفاصيل حياته المعيشية والعبادية"(٢).

(*) أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ج(٣)، ص٥٩.
(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٥٧: ٢٦٦.
(٢) آمال قرداش بنت الحسين، مرجع سابق، ص ٤٥.

وهذا النص أيضاً يؤخذ منه أنه على العالم تعليم زوجته الأحكام الشرعية وهى بدورها تعلمها للنساء على الوجه المعلوم المشروع.

ج- الذهى عن اتخاذ أهله الأوانى من الذهب أو الفضة :

يؤكد فقهاء المالكية على أهمية قيام العالم بدوره فى الذب عن السنة الشريفة ومحاربة البدعة والأمور المخالفة للشريعة وكان ذلك فى حق أهله أولى وأحرى فعليه أن يوضح لأهله أحكام الذهب والفضة والحرير وينهاهم عن اتخاذ الأوانى التى يستعملنها للزينة من الذهب أو الفضة لنهى الشرع الشريف عن ذلك.

وفى هذا الصدد يورد الإمام ابن الحاج" ليحذر العالم أن تتزين الزوجه بالذهب والفضة فى غير ما أبيح لها، إذ أن الشرع إنما أجاز لهن لباس الحرير، والتحلى بالذهب على أبدانهم فلا يجوز له أن يترك زوجته تتخذ المكحلة أو المِيلَ،أو المرآة من الذهب، أو الفضة، إذ أن ذلك ليس بزينة شرعية، فإن فعلت ذلك كانت عاصيةً ويجب عليها فى كل سنة زكاة تلك الأوانى من الذهب، والفضة بشروطها مع وجود الإثم، إذ أن التوبة عليها واجبةٌ فى كل وقت وأوان"(١).

ويذكر الإمام ابن تيمية "الحلى إن كانت للنساء فلا زكاة فيه عند مالك أما الدواة والمكحلة، ونحو ذلك فيه الزكاة"(٢).

فيجب على العالم أن يلفت نظر زوجته إلى تلك الأحكام وغيرها المتعلقة باتخاذهم الحلى من الذهب والفضة وتقديم النصيحة والإرشاد إذ هو قدوةٌ وزوجته قدوةٌ أيضاً لغيرها من النساء.

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص١٥٧: ٢٦٦.
(٢) ابن تيمية (شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحرانى، ت ٧٢٨هـ)، فتاوى النساء، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح محمد، محمد عويشة، (القاهر: دار المنار، ١٩٩٨م) ص٥٢.

د - أن يحرص على امتثال السنة بذكر الأدعية والأوراد عند دخول بيته :

يؤكد فقهاء المالكية على العالم أن يمتثل السنة بذكر الأدعية والأذكار عند دخول بيته ليغتنم بركتها وخيرها وفضلها فيحصل من الثواب الجزيل والعظيم.

ويورد الإمام ابن الحاج" ينبغى للعالم إذ بدأ بدخول بيته قال: بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ويقدم اليمين ويؤخر الشمال، فإذا دخل بيته فليسلم على أهله إن كانوا حضوراً وإن كان فى غير ذلك الموضع فليسلم على نفسه فيقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وينبغى له أن يقرأ عند دخوله "قل هو الله أحد" كاملةً لما ورد فى ذلك من الثواب الجزيل، ثم يصلى على النبى ﷺ ويدعو فيقول "اللهم إنى أسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا" (*)(١).

فالنص السابق ينبه إلى مجموعة من الأدعية والأوراد والأذكار التى يجب على العالم ذكرها فتخلص نيته ويغفر ذنبه، لفضل هذه الأدعية فيذكر الإمام الغزالى "أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا فى لقاء الله تعالى، وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا فى لقاء الله تعالى، وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محباً لله وعارفاً بالله سبحانه .

وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه. وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفى صفاته وأفعاله "(٢).

هـ - الركوع عند دخوله البيت :

يؤكد فقهاء المالكية على أهمية تقرب العالم من الله تعالى بامتثال أوامره وتجنب نواهيه والمحافظة على الصلاة فيستحبون للعالم أن يكثر من الركوع والسجود والنوافل سواء فى مصلاته أو بيته.

---

(*) أبو الطيب (الإمام أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادى أبو الطيب)، عون المعبود، ط(٢)، ج(١٣) (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٥١هـ)، ص٢٩٧.

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ٢٠٧.

(٢) الغزالى، مرجع سابق، ج(١)، ص٤٢٩.

ويذكر الإمام ابن الحاج" ينبغى للعالم أن يركع فى بيته قبل جلوسه لقوله ﷺ "لا تتخذوا بيوتكم قبوراً"(*)(١).

وحرص فقهاء المالكية على ضرورة ركوع العالم فى بيته لإدراكهم بعظيم أثر الصلاة فى تهذيب النفوس" فالصلاةُ عنصرٌ تالٍ لعنصر الإيمان"(٢).

٤- أدبيات المعلم فى اللباس :

أكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة التواضع فى اللباس والهيئة وامتثال السنة فى ذلك فيذكر الإمام ابن الحاج "فلم يرد عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان له لباس خاص لا يلبس إلا إياه بل كان عليه الصلاة والسلام يلبس ما تيسر من غير أن يتكلف وما زال الناس لا يفرقون بين العالم وغيره إلا بحسن هديه وسمعته أو حسن كلامه .

وقال ابن مسعودٍ ﷺ : العالم يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفطرون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون وبحزنه إذا الناس يفرحون .

وقال عبد الله بن عمر ﷺ: لا ينبغى له أن يخوض مع من يخوض ولا يجهل مع من يجهل ولكن يعفو ويصفح، ولم يصف الصحابة والتابعين والعلماء المتقدمين بأن العالم لم يعرف ويوصف بوسع كمه وطوله ووسع ثوبه وحسنه بل وصفوه بما تقدم وقالوا: ينبغى للعالم أن يكون لله حامداً ولنعمه شاكراً وله ذاكراً وعليه متوكلاً وبه مستعيناً وإليه راجياً وبه معتصماً وللموت ذاكراً وله مستعداً. وينبغى أن يكون خائفاً من ذنبه راجياً عفو ربه ويكون خوفه فى صحته أغلب عليه. فلم يذكر أحد أنه يكون زيُّهُ كذا ولباسه كذا"(٣).

---

(*) - ابن ماجة، مرجع سابق، ج(١)، ص٤٣٨.
- عبد الرزاق الإمام (أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى، ت ٢١١هـ)، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأظلمى، ج(٣)، (بيروت: المكتب الإسلامى، ١٤٠٣هـ)، ص٧١.

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص٢٠٧.
(٢) محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، ط(١٢)، (بيروت: دار الشروق، ١٩٨٣)، ص٨٦.
(٣) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص١٤٢: ١٥٦

وقد أوضح فقهاء المالكية ما يجوز من اللباس، وما لا يجوز، وما يستحب لبسه، وما يكره اقتداءاً بصاحب العصمةﷺ فيجب على كل مسلم أن يلتزم فى لباسه بالآداب التالية والعالم فى اتبعها أولى وأحرى إذ هو قدوةٌ كما أوضحنا.

من آداب المعلم فى اللباس ما يلى:

أ - استحباب الثياب البيضاء النظيفة:

يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة إيثار البياض من الثياب فيذكر الإمام الحطاب" المذهب استحباب البياض"(١)

قال رسول اللّٰه ﷺ "من خير ثيابكم البياض(*) أى أحسن ثيابكم وأليقها لسائر الناس البياض(٢).

وقوله ﷺ : البسوا من ثيابكم البياض وكفنوا فيها موتاكم" (**).

ويذكر الإمام ابن الحاج "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال استحب للقارئ أن يكون ثوبه أبيض ويفعل ذلك توقيراً للعلم فلا يلبس ثوباً وسخاً ولا قذراً بل نظيفاً من الأوساخ .

وقد كان لمالكٍ رحمه اللّٰه ثيابٌ كثيرة يوقر بها مجلس الحديث حين كان يقرؤه فقد صحَّ عنه أنه كان إذا طلبه الفقهاء للدرس سألهم ما يريدون، فإن أخبروه أنهم يريدون مسائل الفقه خرج على الحال التى يجدونه عليها لا يزيد على نفسه شيئاً، وإن أخبروهُ أنهم يريدون الحديث دخل إلى بيته واغتسل ولبس أحسن ثيابه وتبخر بالمسك والعود، ثم يخرج

(١) الحطاب، مرجع سابق، ج(٤)، ص٢١٧.

(*) - الشافعى، مسند الشافعى، مرجع سابق، ص٣٦٤.
- البيهقى، سنن البيهقى الكبرى، مرجع سابق، ج(٥)، ص٣٣ بلفظ "البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم".
- الحنبلى، مرجع سابق، ج(١٠) ص٢٠٠.

(٢) المناوى (الإمام محمد بن عبد الرؤوف المناوى)، عشرة النساء وتربية الأولاد والخدام، تحقيق: محمد إبراهيم الدسوقى، (القاهرة: مكتبة ابن سينا، ١٩٩٢) ص٨٢.

(**) ابن حبان، مرجع سابق، ج(١٢)، ص٢٤٢.

إلى الحديث ويطلق البخور بالمسك والعود طول مجلسه ذلك حتى يفرغ تعظيماً للحديث"[١].

ومن النص السابق يتضح أن الشريعة السمحة تقرر أن أحسن لباس الناس البياض والمعلم مطالب "أن لا يخرج إلى الدرس إلا كامل الأهبة وما يوجب له الوقار والهيبة والنظافة فى الثوب والبدن، ويختار له البياض فأنه أفضل لباس"[٢].

ب- الذهى عن الثياب الكثيرة الأثمان :

يؤكد فقهاء المالكية على المعلم ضرورة التواضع فى ثيابه فلا يُطلب له الإسراف والخيلاء فى اللباس .

ويذكر الإمام ابن الحاج "ينبغى للعالم أن يتحفظ مما أحدثوه من البدع فى لبس الثياب الكثيرة الأثمان وقد كان السلف رضى الله عنهم ثَوْبُ أحدهم من سبعة دراهم إلى عشرةِ دراهم وكانوا لا يجاوزون هذا إلا نادراً .

فالخروج به عن حد السمت والوقار وخروجهم به عن زى سائر الناس وتكلفهم فى حمله أن تركوه مدلى ثقل فى مشيهم فتقل مروءة أحدهم بسببه فلا يقدر على المشى الكثير بسببه ولا يقدر على تعاطى قضاء الحوائج بسببه وإن كان يصلى ثقل عليه فى صلاته سيما إذا كان ببطانةٍ وتركهُ مدلى، وإن كان شغلاً فى الصلاة فيمنع منه.

ونهى الرسول ﷺ من أن يكفت أحدُ شعرهُ فى الصلاة أو يضم ثوبهُ. فإذا ضم ثوبه حين الركوع والسجود وقع فى هذا النهى الصريح وإن لم يضمَّ تركه على حالة انفرش على الأرض حين السجود والجلوس فُيمسكُ به إن كان فى المسجد ما ليس له أن يمسكه .

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٤٠.
(٢) عبد الله دخيل الفياض، مرجع سابق، ص١٦٣.

وقد روى عن الصحابة رضى الله عنهم أن ثيابهم كانت تنقطع من عند مناكبهم لشدة تراصهم فى صلاتهم، لأنه عليه الصلاة والسلام كان لا يدخل فى الصلاة حتى يسويهم فيعلمهم ترصيص الصفوف" (١).

ومن هذا النص يستحب للمعلم أن تكون ثيابه متواضعة لأن الكثيرة الأثمان فيها من إضاعة المال والبذخ والعجب مما يقدح فى نيته التى يجب أن تكون خالصة لوجه الله تعالى لأنه قدوةٌ لتلاميذه فى لباسه وجميع سكناته .

وقال رسول اللهﷺ "من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ذلاً يوم القيامة(*).

ويذكر الإمام ابن الحاج "وإن كان للإنسان أن يتصرف فى ماله لكن تصرفاً غير تام محجوزاً عليه فيه؛ لأنه لا يملك الملكَ التامَّ ؛ لأنه أبيح له أن يصرفه فى مواضع ومنع أن يصرفه فى مواضع .

قال الله تعالى :

﴿...وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ...﴾ (٢)

وقال رسول اللهﷺ : "يقول أحدكم مالى مالى وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، وما لبست فأبليت، وما تصدقت فأبقيت" (*)(٣).

ومن هذا النص على المعلم "إذا عزم على مجلس التدريس تطهر من الحدث والخبث، وتنظف، وتطيب، ولبس من أحسن ثيابه اللائقة به بين أهل زمانه قاصداً بذلك تعظيم العلم، فيتقى أية شبهة للعجب بالنفس، أو للخيلاء بالثياب وما أشبه"(٤).

---

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٣٥: ١٣٦

(*) معمر بن راشد (الإمام معمر محمد بن راشد الأزدى، ت١٥١هـ)، الجامع لمعمر بن راشد، تحقيق: حبيب الأعظمى،(منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعانى، ج(١٠)، (بيروت: المكتب الإسلامى، ١٤٠٣هـ) ص٨٠.

(٢) سورة الحديد : من الآية ٧ .

(*) النسائى، السنن الكبرى، تحقيق: عبد القادر سليمان البندارى، سيد كروى حسنى، ج(٦)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١م)، ص٢٣٨.

(٣) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٣٥: ١٣٦.

(٤) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص١٣١.

وعلى المعلم أن يوفر أمواله للصرف على طلب العلم والإنفاق فى شراء الكتب والرحلة للقاء بالأساتذة.

ج- أن يكون لباسه مثل سائر المسلمين :

استحب فقهاء المالكية للعالم أن يلبس مثل ثياب أهل بلده وارتداء الخشن وأكل الغليظ من الطعام لتحصل به المنفعة والقدوة لإخوانه المسلمين.

يذكر الإمام ابن الحاج "استحب أن يكون لباس العالم مثل لباس سائر الناس فقد زاد الله العالم كمالاً على كمال وزينه وتوجه بتاج الرياسة الحقيقة فما له وللزينة والرياسة بالقماش بل هى عاهة وآفة أتت على الزينة التى زينة الله بها. نعم فالعالم يحتاج أن يتزين ويزين ما زينه الله به بالزهد فى الدنيا والتقليل منها وإطراحها وترك المباهاة بها ولبس الخشن وأكل الغليظ والهرب من الدنيا ومن زينتها ومن أبنائها مع النصيحة لهم والرغبة فى الآخرة والأقبال عليها وطلبها والعمل عليها ومحبة أهلها وخدمته والنصيحة لهم والتواضع لهم فهذه هى زينة العالم التى تزينه وترفعه وتعظمه وتزيد رياسته بسببها ويرتفع قدره ويعلو أمره ويظهر علمه ويتواضع له من يراه ويسمعه من سلطان أو أمير أو عامى.

فالعالم الكبير المرجوع إليه فى الفتوى والمقلد فى النوازل الذى يحضر عنده الفقهاء الجَمْعُ الكثير إذا قصد لأخذ الدروس لا يعرف من بينهم بل هو أقلهم لباساً؛ لأنه أزهدهم وأورعهم فهو أقلهم تكلفاً من الدنيا"[(١)].

ومن هذا النص يستحب للمعلم عدم الإسراف فى ثيابه "وعدم المبالغة فى اختيار الأزياء ؛ لأن قيمة الرجل ليست بعظمة ثوبه، فلا ينجذب إلى عوامل الحضارة الحديثة لفساد تدينها وعرام شهواتها حتى جعلت للسهرات ملابس فاضحة، وجعلت للإقامة زيا وللسفر زيا وللأكل زيا وللرياضة زيا وللصيف زيا... "[(٢)].

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٤٣: ١٥٠.
(٢) محمد الغزالى، السنة النبوية بين أهل الفقه.. وأهل الحديث، ط(٤)، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٩م) ص٨٥.

وقد قال رسول الله ﷺ "ألبسوا صوف وكلوا فى أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة"(*).

فالمعلم مطالب بالتوسط فى الثياب وعدم الانخراط فى الأزياء والموضات التى ظهرت مفاسدها لا سيما فى هذه الأيام وذلك "لأن الأبصار ترمقه، وبنفوس طلابه ميل طبيعى إلى محاكاته"(١) فبتوسطه فى لباسه يكون مقبولاً من طلابه ومن الناس جميعاً.

د - النهى عن لبسه للحرير مطلقاً :

نهى فقهاء المالكية العالم عن ارتداء الحرير لقوله ﷺ "لا تلبسوا الحرير، فإنه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة" (**).

فيذكر الإمام ابن الحاج "لا يليق للعلماء وأولى الألباب المبالغة فى تحسين الخياطة لأنه من فعل أهل الرعونة والالتفات إلى الأغراض الخسيسة لما فى ذلك من البدع وسرفٌ وتضييع المال وقد شمل تحسين الخياطة المنهى عنها مازادوه عليه من هذه الأزياق وهذه التضاريب وهذه السجف التى رجعت اليوم كلها حريراً الخرقة والخيط معاً"(٢).

فمن هذا النص يصرح فقهاء المالكية بتحريم لباس الحرير للرجال عموماً ولكن لا بأس أن يرتدى المعلمون اللباس الحسنة الجميلة الملائمة لمكانتهم متجنبين فى ذلك استخدام الحرير أو الذهب فى صناعتها وغير جانحين إلى العجب والخيلاء والأسراف فيها لقوله ﷺ وقد أخذ حريراً فجعله فى يمينه، وذهباً فجعله فى شماله: إن هذين حرام على ذكور أمتى"(***).

---

(*) الديلمى، مرجع سابق، ج(١)، ص١٠٣.

(١) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص١٣١.

(**) - النسائى، السنن الكبرى، مرجع سابق، ج(٦)، ص٤١١.

- أبو عوانة، مرجع سابق، ج(٥)، ص ٢١٤. بلفظ "لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافها فإنها لهم فى الدنيا وهى لكم فى الآخرة".

(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٥١: ١٥٢.

(***) - النسائى، السنن الكبرى، مرجع سابق، ج(٥)، ص٤٢٦.

- المنذرى (الإمام عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى أبو محمد، ت ٦٥٦هـ) ، الترغيب والترهيب، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ج(٣)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ص٧٠.

**هـ - النهى عن سعة ثوبه وطوله :**

أوجب فقهاء المالكية للعالم عدم اتخاذه الثياب الواسعة والطويلة لقوله ﷺ "لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء"(*).

فيذكر الإمام ابن الحاج "ينبغى للعالم أن يتحفظ فى نفسه بالفعل .

وفيمن يجالسه بالقول من هذه البدعة التى يفعلها كثير ممن ينسب إلى أهل العلم فى تفصيل ثيابه من طول الكُمِّ والاتساع والكبر الخارق الخارج عن عادة الناس، فيخرجون به عن حدِّ السمت والوقار ويقعون بسببه فى المحذور المنهى عنه.

وقد رُوى عن النبى ﷺ أنه قال: "إزرة المسلم إلى أنصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما أسفل من ذلك ففى النار لا ينظر الله يوم القيامة إلى جر إزارة"(**)،"وكره مالك للرجل سعة الثوب وطوله عليه.

فتوسيع الثوب وكبُره وتوسيع الكم وكبره ليس للرجل به حاجةٌ فيمنع ما زاد على الكعبين سواءٌ بسواءٍ"(١).

ومن هذا النص على المعلم "أن لا يطيل ثوبه، أو سرواله، أو برنسه أو ردائه إلى أن يتجاوز كعبيه"(٢).

ويورد الإمام ابن الحاج "ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ حين لبس ثوباً فوجد كُمِّهُ يزيد على أطراف أصابعه فطلب شيئاً يقطعه به فلم يجد فأخذ حجراً وألقى كمه عليه، ثم أخذ حجراً أخر فجعل يُرضُّهُ به حتى قطع ما فضل عن أصابعهِ، ثم تركهُ كذلك مدلى حتى

(*) - البخارى، صحيح البخارى، مرجع سابق، ج(٥)، ص٢١٨٢.
- أبو عوانة، مرجع سابق، ج(٥)، ص ٢٤٦ بلفظ "إن الذى يجر ثيابه من الخيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة".
(**)البخارى، صحيح البخارى، مرجع سابق، ج(٥)، ص٢١٨٢. بلفظ "لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء".
(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٣٥: ١٣٦.
(٢) أبو بكر جابر الجزائرى، مرجع سابق، ص٣٠.

خرجت الخيوط منه وتدلت فقيل له فى خياطته فقال: رأيت رسول الله ﷺفعل بثوبٍ كذلك ولم يخطه بعد حتى تقطع الثوب"(١).

فعلى المعلم أن يأخذ القدوة والمثل الأعلى من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين فى هيئة لباسهم وامتثال السنة فى شكله وخياطته لأنه قدوة لغيره من الطلاب الذين يحاكونه فى ثيابهم.

و - أن يمتثل السنة فى لباس العمامة :

أكد فقهاء المالكية للعالم أهمية أن يذكر مجموعة من الأدعية والأذكار فيمتثل السنة إذا لبس عمامةً أو ثوباً أو ملبوساً جديداً، وفى هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج:

"إذا أراد العالم أن يلبس العمامة من باب المباح، فلا بد فيها من فعل سُننٍ بها من تناولها باليمين وقوله بسم الله والذكر الوارد إن كان ما لبسه جديداً وامتثال السنة فى صفة التعميم من فعل التحتيك والعذبة وتصغير العمامة .

وقد روى عن مالك ﷺ أنه سأل عن العمامة يقيم بها الرجل، ولا يجعلها تحت حلقه فأنكرها وقال: إنها من عمائم القبط فقيل له، فإن صلى بها كذلك قال: لا بأس وليست من عمل الناس إلا أن تكون عمامة قصيرة لا تبلغ .

وقال القاضى أبو محمد عبد الوهاب رحمه الله. ومن المكروه ما خالف زى العرب ولبسه زى العجم كالتعميم من غير حنكٍ قال رحمه الله: وقد روى أنها عمامة الشياطين وقال بعض العلماء السنة فى العمامة أن يسدل طرفها إن شاء أمامه بين يديه وإن شاء من خلفه بين كتفيه، وقال لابد من التحنيك فى الهيئتين(٢).

وقد أوصى ﷺ "بلبس العمائم بقوله عليكم بالعمائم فإنها سيماء الملائكة وأرخوها خلف ظهوركم(*).

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٣٧.
(٢) المرجع السابق، م(١)، ج(١)، ص ص١٤٥: ١٤٧.
(*) الطبرانى، المعجم الكبير، مرجع سابق، ج(١٢)، ص٣٨٣.

فعلى المعلم الشيخ الفقيه عند ارتداء العمامة الالتزام بالآداب المتقدم ذكرها وهذا يخص علماء وطلاب الأزهر الشريف لالتزامهم بلبس العمامة ويذكر الإمام محمد الغزالى "أنه ليس فى فضل العمامة حديث يصح"(١). وعلى هذا لم يلزم الفقهاء المعلم بالتعمم.

ز - استحباب لبس الحسن من الثياب فى الْجُمَعِ والأعيادِ:

يؤكد فقهاء المالكية على أهمية أن يحسن العالم زيه وهيئته و"كان ﷺ إذا استجد ثوباً لبسه يوم الجمعة"(*).

ويورد الإمام ابن الحاج: "ورد عنه عليه الصلاة والسلام من التأكيد فى لبس الحسن من الثياب إلا فى الجمع والأعياد ولم يرد عنه فى ذلك مخالفة لباس الناس لفقيهٍ ولا لغيره ومجالس العلم اللبس لها أخفض رتبةً من الجمع والأعياد.

وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله يخرج للمسجد والدرس بما تيسر من اللباس ولا يقصد لذلك لباساً معيناً إلا ما كانت من الأعياد والجمع وكان يخرج فى زمان الصيف بقميصٍ خامٍ غليظٍ يصل إلى نصف ساقه وعلى رأسه طاقية طاق واحدٌ ومنديل أو خرقةٌ يجعلها على أكتافه حين الصلاة، ثم يزيلها إذا فرغ منها ويجعلها بين يديه، وإن كان فى زمن الشتاء زاد على ذلك دلقاً واحداً غليظاً وفوطةً تساوى سبعة دراهم أو نحوها"(٢).

ومن النص السابق فقد أكد فقهاء المالكية على أهمية أن يحضر العالم مجلسه فى المسجد على أكمل هيئةً وأنضر صورةً لإدراكهم أهمية موقعه وتأثيره فى تلاميذه. وهذا الاهتمام الشديد" بهيئة المعلم ليس مسألة شكلية، وإنما هى مما يجعل صورة المعلم باعثةً على ارتياح المتعلمين، سارةً لنظرهم، ومن ثم يصبحون أكثر تهيؤاً لتلقى التعليم فى أحسن ظروف ممكنة"(٣).

---

(١) محمد الغزالى، مرجع سابق، ص٨٥.

(*) الخضرى(الإمام عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الخضرى)، الجامع الصغير للسيوطى، تحقيق محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن على بن زيد العابدين المناوى،ج(١)،(جدة: دار دائرة العلم، د.ت)، ص٧٩.

(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٥٤.

(٣) سعيد إسماعيل على، اتجاهات الفكر التربوى الإسلامى، مرجع سابق، ص ص ٨٧: ٨٨.

**تعقيب :**

تأتى أهمية مناقشة فقهاء المالكية لأدبيات العالم فى اللباس لتأثيرها العظيم فى نفوس المقتدين به ولأن كثير من المفاسد قد حُلقت بسبب هيئة اللباس فكان تأثيرها عظيماً على حرمان طلبة العلم من تلقيه،فيذكر الإمام ابن الحاج من المفاسد التى وقعت بسبب اللباس "حرمان تعلم العلم لمن له أولاد يريد أن يشغلهم بالعلم فيمتنع عليه ذلك لقلة ذات اليد، لا يقدر أن يُحصل لأحدهم تلك الثياب التى اصطلحوا عليها، ولا يقدر على ولده أن يُحضرهُ مجلس العلم بغيرها فتركوا تعلم العلم لأجل ذلك"(١).

وبسبب مفاسد الثياب انتشرت ظاهرة التحاسد بين العلماء ففى هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج" فلو بقى العلماء على ما كان عليه سلفهم فى هدى العالم وسمته وزهده وورعه وتقشفه وخوفه وقلقه وهربه والإعراض عن الدنيا وحسن منطقه وعذوبة عبارته ووقوفه على باب ربه ودعوى الناس إلى ذلك وتواضعه وإشفاقه عالماً بأهل زمانه متحفظاً من سلطانه ساعياً فى خلاص نفسه ونجاة مهجته مقدماً بين يديه ما يقدر عليه من عرض دنياه مجاهداً لنفسه فى ذلك ما استطاع ويكون أهم أموره عنده الورع فى دينه واستعمال تقوى اللّٰه تعالى ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه، فلو بقى العلماء على بعض هذا لحفظ بهم العلم وتميز أهله من غيرهم ولكنهم تنافسوا فى تحسين الثياب والإسراف فى تزيينه حتى اختلط الأمر وصار لا يعرف العالم من العامى لتقارب النسبة والشبه فى التصرف والحال وحب الدنيا والإقبال عليها"(٢).

**٥- أدبيات المعلم فى تفقد لباس أهل بيته :**

حرص فقهاء المالكية على توضيح آداب المعلم فى لباس أهله انطلاقاً من وجوب نصحه وإرشاده لهم للتمسك بأوامر اللّٰه سبحانه وتعالى وتجنب نواهيه فى كل أمورهم

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٥٧.
(٢) المرجع السابق، م(١)، ج(١)، ص ص١٥٧: ١٥٨.

ومنها اللباس لأنه الهيئة الظاهرة التى يطلع عليها الناس وعلى أثرها يقتدون فمن أهم هذه الآداب:

أ - الذهى عن الثياب الضيقة القصيرة :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة لبس النساء والفتيات الثياب الطويلة التى تستر قدمها وتسبل خمارها على رأسها فتستر عنقها وجسمها.

ويشير الإمام ابن الحاج فى هذا الصدد بذكره "ينبغى للعالم أن ينهى أهله من أن يلبسن الثياب الضيقة القصيرة حيث وردت السنة بضدها؛ لأن الضيق من الثياب يصف من المرأة أكتافها وثدييها وغير ذلك، هذا فى الضيق، وأما القصر فإن الغالب منهن أن يجعلن القميص إلى الركبة، فإن انحنت أو جلست أو قامت انكشفت عورتها .

ووردت السنة أن ثوب المرأة تجره خلفها ويكون فيه وسع بحيث إنه لا يصفها، فإن قلن إن السراويل يغنى من الثوب الطويل فصحيح أن فيه ستره لكن يُشترط فيه أن يكون من السُّرةِ وهن يعملنه تحتها بكثير.

فلا بد للعالم أن ينهى أهله عن هذه القبائح يذمها ويعلمهن أمر الشرع فى صفة اللباس للمرأة لأن المرأة كلها عورة إلا ما استثنى من ظهور أطرافها لذى المحارم"(١).

فمن هذا النص ينهى فقهاء المالكية نساء المسلمين عامةً من لبس الثياب التى تصف جسمها ومحاسنها حتى لا تنتشر الفاحشة فى المجتمع ويعم الفساد فقد قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ... ﴾ (٢)

وقالت عائشة رضى الله عنها: "يرحم الله نساء المُهاجرات الأول لما أنزل الله "وليضربن بخمرهن على جيوبهن" شققن أكتف مرطهن فاختمرن بها"(*).

(١) المرجع السابق، م(١)، ج(١)، ص٢٣٧.
(٢) سورة الأحزاب : من الآية ٥٩ .
(*) - البيهقى، سنن البيهقى الكبرى، مرجع سابق، ج(٢)، ص٢٣٤.
- أبو داوود، مرجع سابق، ج(٤)، ص٦١.

ويورد أيضاً ابن الحاج "قال مالك رحمه الله بلغنى أن عمر بن الخطاب ﷺ نهى النساء عن لبس القياطى قال، وإن كانت لا تشف فإنها تصف .

قال ابن رشد رحمه الله القياطى ثياب ضيقه ملتصقة بالجسد لضيقها فتبدى ثخانة جسم لابسها من نحافته وتصف محاسنه وتبدى ما يستحسن مما لا يستحسن فنهى عمر بن الخطاب ﷺ أن يلبسها النساء امتثالاً لقوله تعالى:

﴿ ...وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ... ﴾(١)

فالعالم – من هذا النص- مطالبٌ بالقيام بدوره التربوى خارج البيت مع طلبته فى الصف وفى بيته مع أهله وأولاده لتنشئتهم على القيم والأخلاق الفاضلة فيمنع عنهم الرذيلة فى اللباس بالنصح والتوجيه وذكر أحكام الشرع وأوامر الله تعالى فى ذلك فتعم الفائدة ويصان المجتمع إن شاء الله.

**ب- أن ينهاهن عن لبس العمائم:**

يذكر الإمام ابن الحاج "ينبغى للعالم أن ينهاهن عن هذه العمائم التى يعملنها على رؤسهن كما ورد فى الحديث "لا تقوم الساعة حتى يكون نساءٌ كاسياتٍ عارياتٍ مائلاتٍ مميلاتٍ على رءوسهن مثل أسنمة البُختِ لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد فى مسيرة خمسمائة عامٍ"(**).

وقال الشيخ الإمام أبو عبد الله القرطبى رحمه الله فى معنى على رءوسهن مثل أسمنة البخت" هذا مشاهدٌ ومرئىٌّ، إذا أن فى عمامة كل واحدةٍ منهم سنامان، وأقل ما فيه من الضرر أن رأسها يعتلُّ بسبب هذه العمامة؛ لأنهن اتخذنها عادة من فوق الحاجبين وفى ذلك مفاسد:

---

(١) سورة النور : من الآية ٣١ .

(**) - البيهقى، سنن البيهقى الكبرى، مرجع سابق، ج(٢)، ص٢٣٤.
- أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ج(٢)، ص٣٥٥.

أحدها: أن المرأة محل لاستمتاع الرجل وأعظم جمال فيها وجهها وهى تغطى أكثره فتقع بذلك فى الإثم، لأنها تمنع زوجها حقه ولو رضى زوجها بذلك فإنها تمنع منه لمخالفتها للسنة.

الثانى: أنها إذا كانت هذه المواضُع مستورةً، فإذا احتاجت إلى الوضوء تحتاج إلى كشفها حتى تغسل ما يجب عليها، فإذا غسلته فقد تستهوى؛ لأن الموضع قد اعتاد التغطية فإذا كشفته عند الغسل قد تتضرر فيكون ذلك سبباً لترك فرضين أحدهما: غسل الوجه والثانى: مسح الرأس.

الثالث: الزينة التى جملها الله تعالى بها فى وجهها سترتها عن زوجها، وقد يفضى ذلك للفراق؛ لأنها تبقى فى تلك الحالة بشعة المنظر، فإن قيل: إن فيها بعض جمال لها فهذا نادرٌ والنادر لا حكم له"[1].

ومن هذا النص يجب على المعلم أن ينهى طلبته وأهله من هذه العمائم ويوضح لهم المفاسد التى وقعت بسببها امتثالاً للسنة الشريفة.

ج- أن ينهاهن عن توسيع الأكمام وقصرها

يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة أن ينهى أهله وطلبته من توسيع وتقصير الأكمام لما فيها من فعل المتبرجات وقد ورد نهى الشرع أن تخرج المرأة متزينةً متبرجةً متعطرةً فينبغى تعليم المرأة ما يلزمها من الشرع فى أمور لباسها.

فيذكر الإمام ابن الحاج "يجب للعالم أن يمنعهن من توسيع الأكمام التى أحدثنها مع قصر الكم فإنها إذا رفعت يدها ظهرت أعكانها ونهودها وغير ذلك وهذا من فعل من لا خير فيه من المتبرجات[2].

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ٢٣٨: ٢٣٩.
(٢) المرجع السابق، م(١)، ج(١)، ص٢٣٩.

من النص السابق على المعلم أن يعلمهن من الأحكام والشرائع ما يصلح حالهن ويصون كرامتهن وظهرهن بالمظهر اللائق المحتشم بما يتناغم ومطالب الدين الإسلامى الحنيف فيذهب عنهم الفتنة ويسد باب الذرائع لانتشار الفاحشة فى المجتمع الإسلامى.

**د - أن يامرهن بالخروج فى الخفش من ثيابهن :**

يؤكد فقهاء المالكية على أن المرأة إذا أرادت الخروج أن تخرج بثياب غليظة طويلة الذيل فيذكر الإمام ابن الحاج: "ينبغى للعالم أن يعلمهن السنة فى الخروج إن اضطرت إليه؛ لأن السنة وردت أن المرأة تخرج فى فحش ثيابها وهو أدناه وأغلظه، وتجر مرطها خلفها شبراً أو ذراعاً ويعلمهن السنة فى مشيهن فى الطريق، وذلك أن السنة قد حكمت أن يكون مشيهن مع الجدران .

لقوله ﷺ "ضيقوا عليهن الطريق".

فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها[١].

ويوضح الإمام ابن الحاج المفاسد التى ظهرت لعدم معرفة المرأة بالسنة فى خروجها من بيتها فيذكر.

"فمن المفاسد التى ظهرت فى هذا الشأن لعدم معرفة المرأة بالسنة أنها تقعد فى بيتها بحفش ثيابها وترك زينتها وبحملها، وبعض شعرها نازل على جبتها إلى غير ذلك من أوساخها وعرقها حتى لو رآها رجل أجنبى لنفر بطبعه منها غالباً فكيف بالزوج الملاصق لها، فإذا أرادت إحداهن الخروج تنظفت وتزينت ونظرت إلى أحسن ما عندها من الثياب والحلى فلبسته وتخرج إلى الطريق كأنها عروس تجلّى، وتمشى فى وسط الطريق وتزاحم الرجال"[٢].

(١) المرجع السابق، م(١)، ج(١)، ص٢٣٩.
(٢) المرجع السابق، م(١)، ج(١)، ص٢٤٠.

من هذا النص يوضح الإمام ابن الحاج ضرورة تمسك المرأة بالسنة فى خروجها من بيتها وتعاملها مع زوجها لأنه أدوم للعشرة بينهم فقد أمرها الشرع أن تبدى زينتها لزوجها وأن تتحفظ على نفسها من البدع التى أحدثتها النساء عند خروجها من بيتها، وعلى زوجها ووليها كأبيها أن ينهاها عن مفاسد الثياب وهى كثيرة فى هذه الأيام لظهور أنواع متنوعة لا حصر لها من الموضات التى تثير الشهوة وتحرك الرغبات المكبوتة فعمت بها البلوى على المجتمع كله.

ويجب على المعلم أن يوجه أهل بيته وطلبته إلى قراءة الكتب الفقهية النافعة ويعلمهن أحكام دينهم ليتعلمن ما يستقيم به حالهن وأن يوجههن إلى حضور البرامج والندوات والمحاضرات الدينية التى تحثهن على فضائل الشيم والأخلاق وتوضح لهن الأحكام الشرعية الخاصة باللباس حتى يلتزمن بها ويعلمنها لبناتهن لأنهن القدوة لهم.

## ثانياً: أدبيات المتعلم :

يقصد بها" مجموعة الأنماط السلوكية التى يطلب من المتعلم أن يلتزم بها فى تلقيه العلم وفى علاقته مع نفسه وأساتذته وزملائه"(١).

### ١- إخلاص النية فى طلب العلم :

يؤكد فقهاء المالكية على طالب العلم أن يُحسّن نيته فى طلب العلم بأن يقصد به وجه الله تعالى، وإحياء الشريعة، وامتثال أوامره وأحكامه، ولا يقصد به الأغراض الدنيوية من طلب المباهاة والرياسة والجاه لأن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من العبادات والأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

قال تعالى :

﴿ ...وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ... ﴾ (٢)

(١) أحمد محمد إبراهيم فلاته، مرجع سابق، ص٢٢.
(٢) سورة البينة : من الآية ٥ .

وقوله ﷺ : إنما الأعمال بالنية" (*).

فيشير الإمام ابن الحاج إلى ذلك بقوله "ينبغى للمتعلم أن تكون نيته فى طلب العلم لله تعالى؛ لأنه فى أول أمره متصفٌ بالجهل فيحرص على تخليص نيته من الشوائب فى نفسه، وهو أن يقصد بذلك وجه الله تعالى، لا لأجل أن يرتفع قدره عند الناس، أو يُعرف بالعمل، أو لمعلومٍ يأخذه به، أو لأن يرأس به على الجهال، أو لأن يشار إليه، أو لأن يُسمع قوله إلى غير ذلك من الخطوط المذمومة شرعاً التى تخرجه عن أن يكون لله تعالى"(١).

"ولا يختلف العلماء أن العلم أفضل الأعمال بعد الأيمان بالله ﷻ.

وإذا كان أفضل الأعمال فيتعين تخليصه لله تعالى فيبدئه أولاً بالإخلاص من المحض، حتى يكون الأصل طيباً فتأتى الفروع على هذا الأصل الطيب فيرجى خيره، وتكثر بركته، والقليل من العلم مع حسن النية فيه أنفع وأعظم بركةً من الكثير منه مع ترك المبالاة بالإخلاص فيه"(٢).

ويؤكد هذا المعنى الإمام ابن الصلاح فى آداب المحدث "علم الحديث علم شريف يناسب مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم وينافر مساوئ الأخلاق ومشاين الشيم، وهو من علوم الآخرة لا من علوم الدنيا.

فمن أراد التصدى لإسماع الحديث أو لإفادة شيءٍ من علومه فليقدم تصحيح النية وإخلاصها، وليطهر قلبه من الأغراض الدنيوية وأدناسها، وليحذر بلية حب الرياسة ورعوناتها" (٣).

---

(*) - البخارى، صحيح البخارى، مرجع سابق، ج(٦)، ص٢٥٥١.
- مسلم، مرجع سابق، ج(١٣)، ص١٥١٥
- السيوطى، أسباب ورود الحديث، تحقيق: يحيى إسماعيل أحمد، ج(١)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م) ص٧٣.
- أبو المحاسن (الإمام يوسف بن موسى الحنفى أبو المحاسن)، معتصر المختصر، ج(٢)، (بيروت: عالم الكتب د.ت)، ص٣٤٧.

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، صص١١٤.
(٢) المرجع السابق، م(١)، ج(٢)، ص١١٤.
(٣) ابن الصلاح، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح الدين بن محمد بن عويضة، مرجع سابق، ص١٤٧.

فينطبق هذا الكلام على كل من طلب العلم سواء العلوم الشرعية أو العلوم الطبيعية بضرورة ابتغاء وجه الله تعالى من خلال تعلمه لهذه العلوم.

ويشير الإمام ابن الحاج أيضاً فى هذا الصدد" من طلب العلم لوجه الله لم يزل معاناً، ومن طلبه لغير الله لم يزل مهاناً، لذلك فينبغى للمتعلم أن لا يسعى لطلب المعلوم ولا فى زيادته، ولا فى تنزيله فى المدارس، ولا فى الوقوف على أبواب من يرجى ذلك منهم فإن فعل شيئاً مما ذكر كان ذلك قدحاً فى نيته، ووقع عليه الذم بنص كتاب الله سبحانه وتعالى حيث يقول تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾(١)

"فالعلم عبادةٌ من العبادات، وقربةٌ من القربات، فإن أخلصت فيه النية لله تعالى قبل وزكى ونمت بركته.

وإن قصد به غير وجه الله تعالى حبط وضاع، وخسرت صفقته، وربما تفوته تلك المقاصد، ولا ينالها فيخيب قصده ويضيع سعيه"(٢).

ويشير الإمام ابن الحاج فى هذا الصدد "العلم من الله تعالى، والعمل لله، وإن الرجل ليطلب العلم لغير الله فيرده العلم إلى الله، فإن العلم يأبى أن يكون إلا لله.

وطالب العلم لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون قوياً فى دينه واثقاً بربه، أو لا يكون كذلك، فإن كان الأول فاشتغاله بالعلم وإقباله عليه أولى من أن يدور فى المدارس أو غيرها، لأن الله تعالى قد تكفل برزقه خصوصاً وقال ذو النون المصرى رحمه الله: كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضاً للدنيا، وترنحاً لها، فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حُباً، ولا طلباً، وكان يتفق ماله على العلم، واليوم يكسب الرجل بعلمه مالاً، وكان يرى على

(١) سورة الصف : من الآية ٢ : ٣ ؛ ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ص ١١٤: ١١٥

(٢) هشام نشابة، مرجع سابق، ص١٤٠.

طالب العلم زيادة إصلاح فى باطنه، وظاهره، فاليوم ترى على كثيرٍ من أهل العلم فساد الباطن والظاهر"(١).

وفى هذا النص يشير الإمام ابن الحاج إلى أنه على طالب العلم بجانب إخلاص النية فى طلبه "أن يحسن ظاهرة وباطنه ويتشبث بالأخلاق الكريمة والشيم النبيلة وأن يقتدى بالسلف الصالح فى طلبهم للعلم "فقد أنفق يحيى فى طلب العلم ستة آلاف دينار وسمع منه الناس وتفقه عليه خلق، وإليه كانت الرحلة فى وقته"(٢).

وقد قال رسول الله ﷺ "من طلب العلم ليباهى به العلماء، ويمارى به السفهاء أو ليصرف وجوه الناس إليه، فهو فى النار"(*)

وكثير من أحاديث الرسول ﷺ تقضى "بأن على طالب العلم أن يصحح نيته فى طلبه، فلا يكون طلبه إلا لله وحده، ويبتغى عنده الرضوان، ويرجو لديه الثواب، لا ليرتفع به فى أعين الناس، ويعلو به فوق أعناقهم، ويركب به أكتافهم"(٣).

٢- التواضع:

يُعد التواضع من أبرز شروط التعليم "فالمتعلم عليه ألا يعتقد لعلم أنه حصل منه على مقدارٍ لا يمكن الزيادة عليه فذلك طيش يوجب الحرمان ..

لقوله ﷺ : وقل رب زدنى علماً"(**)(٤).

ويورد ابن الحاج "قد تقدم فى العالم أن من آدابه التواضع لمن يعلمه، وإذا كان كذلك مطلوباً فى العالم فمن باب أولى فى المتعلم المحتاج إلى التعليم، فينبغى له أن يكون

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ٣٢.
(٢) أحمد مصطفى، أخلاق السلف فى العلم والتعلم، (القاهرة: دار الخلفاء، ١٩٩٩م) ص٩٥.
(*) - الترمذى، سنن الترمذى، مرجع سابق، ج(١)، ص١٨٤.
- الهيثمى، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق، ج(١)، ص١٨٤.
- الدارمى، مرجع سابق، ج(١)، ص١١٦.
(٣) أبو عبد الله محمد بن سعيد بن رسلان، آداب طالب العلم، (القاهرة: دار العلوم الإسلامية، ١٩٨٨م) ص١٣.
(**) البخارى، صحيح البخارى، مرجع سابق، ج(١)، ص٣٤.
(٤) مصطفى رجب، مع تراثنا التربوى: شخصيات ونصوص، مرجع سابق، ص ١٦٦.

تواضعه أكثر حتى لو صار أرضاً توطأ كان قليلاً بالنسبة إلى ما هو يطلبه؛ لأن التواضع يُقبل القلوب عليه، وينشط من يعلمهُ لتعليمه، وإرشاده، والتواضع أصل كل خيرٍ وبركةٍ كل شيءٍ"(١).

وهذا النص يؤكد اهتمام السادة المالكية بضرورة تحلى المتعلم بأدبِ التواضع "فقد قال بعض الحكماء: وجدنا التواضع مع الجهل والبخل أحمد عند الحكماء من الكبر مع الأدب والسخاء فأنبل بحسنة غطت على سيئتين وأقبح بسيئة غطت على حسنتين" (٢).

فإذا كان التواضع فى حق الناس مطلوب ففى حق طالب العلم واجب لأنه المحتاج والفقير إلى التزود بالعلوم والمعارف فينبغى له "أن يكون على درجةٍ من التواضع والأدب مع معلمه ليكون له الثواب والشرف فى خدمته"(٣).

وقال رسول اللّه ﷺ : من تواضع للّه رفعه اللّه، ومن تكبر وضعه اللّه، ومن اقتصد أغناه اللّه، ومن بذر أفقره اللّه، ومن أكثر ذكر اللّه أحبه اللّه"(*).

وقد رسم القرآن الكريم طريق العقل إلى المعرفة وقد تضمن مبادئ تضمن له سلامة الوصول ومنها التواضع (٤).

٢- أن يتحفظ من الحسد :

يؤكد فقهاء المالكية على علاقة الطلاب بعضهم ببعض وأن تشيع روح الود والمحبة والتعاون فى العلم على البر والتقوى والتحفظ من تسرب روح الحسد والغيرة بينهم لأنها ذريعة للعديد من المفاسد التى لا تليق بهم وهم طلاب للعلم فالأولى لهم التخلق بمحاسن الأخلاق وأسمى الشيم.

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٢٠.
(٢) الراغب الأصفهانى، الذريعة إلى مكارم الشريعة، مرجع سابق، ص٢٩٩.
(٣) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوى عند الإمام الغزالى، مرجع سابق، ٤٦.
(*) الترمذى، نوادر الأصول فى أحاديث الرسول، مرجع سابق، ج(٤)، ص٢٢٢.
(٤) على خليل مصطفى أبو العينين، التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامى الركائز والمضامين، (المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حلبى، ١٩٨٧م) ص٤٦.

فيشير الإمام ابن الحاج "ينبغى للمتعلم أن يتحفظ على نفسه من تلك البدعة التى عمت بها البلوى وهى نظر المتعلمين بعضهم لبعض وقول بعضهم كيف يأخذ فلان كذا وكذا، وأنا أكثر منه بحثاً، وقد حفظت الكتاب الفلانى، والكتاب الفلانى، ويقع بسبب ذلك بينهم شنآنُ،واتصاف بالحسد، وما شاكله وخرج ذلك إلى باب الأسباب الدينوية"(١)

وهنا يؤكد فقهاء المالكية مرةً أخرى إلى ضرورة إخلاص النية فى طلب العلم ابتغاء وجه الله تعالى والتحرر من الأسباب الدينوية التى تقود إلى كل رذيلة ومنها ظاهرة التحاسد بين طلبه العلم بعضهم لبعض "فالمستغرق بحب الله تعالى، لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بعينٍ واحدةٍ وهى عين الرحمة ويرى الكل عباداً لله وأفعالهم أفعالاً لله ويراهم مسخرين"(٢).

ومن واجب المعلم أن يبث فى تلاميذه آداب التعامل مع الرفاق "إذ يكتسب الأقران السلوك من خلال تعاملهم بعضهم بعضاً، وهذا يتطلب توجيه الطفل نحو التعامل الحسن مع رفاقه"(٣)بحيث يكون هذا التعامل مبنياً على الاقتداء بالسلف الصالح وأخلاق النبى ﷺ.

"وينبغى للمتعلم أن يعظم زملاءه لما لذلك من الأثر الكبير فى استمرار المودة بينهم، وتقوية أواصر العلاقة التى تعود بالنفع عليه وعلى زملائه"(٤)وحب التلاميذ بعضهم لبعض إنما "قصد لتحقيق العلاقة العلمية بين الزملاء أثناء الدرس، وتجنب كل ما من شأنه أن يثير سوء التفاهم بين زملاء الدراسة، بحيث لا تكون بينهم إلا المودة، والتعظيم، وحفظ المصلحة العلمية العامة للجميع"(٥).

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٢٠.
(٢) محمد على قراعة، مرجع سابق، ص١٥٧.
(٣) عزت جرادات وآخرون، مرجع سابق، ص ٩٦.
(٤) أحمد محمد إبراهيم فلاته، مرجع سابق، ٢١٤٩.
(٥) المرجع السابق، ص١٥٠.

### ٤- التحلى بالأخلاق الكريمة والاقتداء بالسلف الصالح:

يؤكد فقهاء المالكية أنه على طالب العلم ضرورة التحلى بالأخلاق والشيم الكريمة والتأسى بالسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين "فمن شرائط المتعلم ووظائفه أن يضع تزكية النفس عن رذائل الأخلاق كوظيفةٍ أولى وهذه متقدمةٌ على الكل ولمّا كانت الأعمال بالنيات كما أكد الرسول الكريم كان واجباً على المتعلم أن ينوى وجه الله بالعلم الذى يطلبه فمن لم يزدد بالعلم ورعاً وزهداً لم يزدد من الله إلا مقتاً وبعداً" (١).

وفى هذا الصدد يشير الإمام ابن الحاج "لكى يتصف المتعلم بالأخلاق الحميدة، عليه أن يبنى أمره على أصل صحيح جيدٍ يعمل ثم بعد ذلك يبنى عليه والأساس الذى يحتاج إليه المبتدئ فى هذا الفن اتباع السلف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فيما أخذ بسبيله وكان أحوالهم رضى الله عنهم الهرب من الدنيا، وأسبابها، فإن فتح عليهم بشىءٍ منها قالوا: ذنبٌ عجلت عقوبته، وإن أصابهم ضيقٌ سروا بذلك وفرحوا به، وكان ذلك غنيمتهم ولأجل ذلك جعلهم الله أئمةً يُقتدى بهم، ويُرجع إلى أقوالهم، وأحوالهم وإن قال قائل: قد كان فى السلف الصالح رضوان الله عليهم أكابر لهم أموال، وأسباب، فالجواب: أن اتخاذهم الأموال، والعمل على الأسباب لا يمنع إذا دخل فيها على ما كان عليه السلف رضى الله عنهم فى عدم تعلق القلب بها، إذ أنهم كانوا فيها سواءٌ أقبلت أو أدبرت قابلوها بالإيثار، والبذل لله، وإن أدبرت قابلوها بالصبر، والرضا، والتسليم لمن الأمر بيده وهمتهم،وبغيتهم إنما كان تحصيل زادهم لمعادهم فى الفقر، والغنى، والحركة، والسكون"(٢)

وقد رسم ابن الحاج فى هذا النص نموذجاً فريداً فى الاقتداء بالسلف الصالح فيجب على طالب العلم "أن يكون مقتدياً بهم فى رضى أخلاقهم متشبهاً فى جميع

(١) سعيد إسماعيل على، اتجاهات الفكر التربوى الإسلامى، مرجع سابق، ص٩٠.
(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٢٠: ١٢١.

أفعالهم ليصير بهم آلفاً وعليهم ناشئاً ولما خالفها مجانباً لقوله ﷺ : من تشبه بقوم فهو منهم" (*)(١).

وينبغى لطالب العلم "أن يتعهد طهارة النفس عن رذائل الأخلاق، ومذموم الصفات، باتباع سنة النبى ﷺ ، والتمسك بها، والعض عليها، لأن أهل العلم أولى الناس بذلك، فهم ورثة النبى ﷺ وأحق الناس بالاقتداء به، والقص على أثره ﷺ " (٢).

وينبغى لطالب العلم "أن يقصد من تعلمه تجميل روحه بالفضيلة وأن يكون طاهراً نقياً مجانباً للصفات الحسية مقبلاً على الصفات الروحية ساعياً إلى التحقق بالذات العلية"(٣).

## ٥- أن يتصف بتقوى الله سبحانه وتعالى:

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة تحلية طالب العلم بتقوى اللّه سبحانه وتعالى وذلك لأهميتها ومنزلتها الرفيعة" فهى جماع كل خير، وسبب كل نجاةٍ، ولقاح كل رشد، هى أحرز حرزاً وأقوى معيناً، وأمتع جنةً، فهى رأس كل تدبير ومصدر كل سياسة ليكون اللّه دوماً وأبداً هو أول كل أمر وآخره"(٤).

ويورد الإمام ابن الحاج "إذا اتصف المتعلم بالتقوى كان اللّه ﷻ معلمه، وهاديه ومن كان اللّه تعالى معلمه، وهاديه، فلا تسأل عن حاله .

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ... ﴾ (٥)

---

(*) - الهيثمى، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق، ج (١٠)، ص٢٧١.
- أبو شيبة، مرجع سابق، ج(٦) ص٤٧١.
- معمر بن راشد، مرجع سابق، ج(١١) ص٤٥٣.

(١) الماوردى (أبو الحسن على بن محمد الماوردى)، أدب الدنيا والدين، تحقيق: سليمان سليم البواب، (دمشق: دار الحكمة، ١٩٩٤م) ص٣٠.
(٢) محمدين سعيد بن رسلان، مرجع سابق، ص١٧.
(٣) لطفى بركات أحمد، فى الفكر التربوى الإسلامى، مرجع سابق، ص٩٨.
(٤) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوى عند ابن المقفع، الجاحظ، عبد الرحمن الكاتب، مرجع سابق، ص٢٦٢.
(٥) سورة السجدة : من الآية ١٧ .

وهذا لفظٌ عامٌ فقد يَحصُلُ للمتعلم نفائس من المسائل لا تؤخذ بالدرس، ولا بالشرح لأجل ما حصل من قوله ويعلمكم اللّٰه، وأكد ما عليه فى التقوى، اجتناب المحارم لقوله عليه الصلاة والسلام "اتق المحارم تكن أعبد الناس"(*).

وقوله ﷺ : ما نهيتكم عنه فلا تقربوا"(**).

فإذا اتصف بهذه الصفة كان أعبد الناس، وإن لم يكن له كثيرٌ من العمل، ومن أكد الأمور عليه تخليص ذمته من إخوانه، وجلسائه، ومعارفه، وغيرهم إذ تخليص الذمة هو المطلوب والمقصود الأعظم"(١).

وفى هذا النص يؤكد الإمام ابن الحاج على ضرورة أن "يأخذ طالب العلم- نفسه بالورع فى جميع شأنه، ويتحرى الحلال فى طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه، وفى جميع ما يحتاج إليه هو وعياله ليستنير قلبه، ويصلح لقبول العلم ونوره، والنفع به، ويقتدى بمن سلف من العلماء الصالحين فى التورع"(٢).

وينبغى للمتعلم أن يلزم التقوى "ومجاهدة النفس عما حرمه اللّٰه أو ما فيه شبه سمو بالنفس وصيانة للعلم بتدريب نفسه على معالى الأمور التى فيها كمال النفس"(٣).

### ٦- أن يتحفظ من الغيبة والنميمة :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يتحفظ طالب العلم فى نفسه ودرسه من الغيبة والنميمة التى عمّت بها البلوى وتعاظمت بها المفاسد .

---

(*) الترمذى، سنن الترمذى، مرجع سابق، ج(٤)، ص٥٥١. بلفظ "اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تمت القلب".

(**) - ابن حبان، مرجع سابق، ج(١)، ص١٩٨.
- أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ج(٢)، ص٢٤٧.
- الحميدى، (الإمام عبد الله بن الزبير أبو بكر الحميدى، ت ٢١٩هـ)، مسند الحميدى، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، ج(٢)، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص٤٧٧.
- ابن رجب الحنبلى، مرجع سابق، ج(١)، ص١٠.

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٢٢.
(٢) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٤٣.
(٣) أحمد محمد إبراهيم فلاته، مرجع سابق، ص ص ٧٢: ٧٣.

فقد قال رسول الله ﷺ "لا يدخل الجنة قتات" (*) وسُئِلَ النبى ﷺ عن الغيبة فقال ذكرك أخاك بما يكره .

قال: أرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟

قال: إن كان فى أخيك ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته"(**).

فيجب على طالب العلم أن يحذر من آفات اللسان ومنها الغيبة والنميمة.

وفى هذا الصدد يورد الإمام ابن الحاج" ينبغى للمتعلم أن يحذر من هذين الأمرين الخطرين اللذين عمت بهما البلوى لكثرة وقوعهما على الألسن، وهما الغيبة والنميمة فالنميمة أن تنقل حديث قوم إلى الآخرين، والغيبة: أن تقول فى غيبة الشخص ما يكره وإن كان حقاً، وأما إن كان ذلك القول باطلاً فهو البهتان بغيبة وإن غيبة كل إنسان بحسب حاله .

قال الشيخ الأمام أبو حامد الغزالى رحمه الله: غيبة الصالحين فى ثلاثٍ منها أن يذكر شخص بين أيديهم فيقولون: اللهم تب عليه، وكذلك يقعون بسبب غيرتهم فى الدين يقولون: فلانٌ فعل كذا، وكذا على سبيل الغيرة منهم فى دين الله تعالى، وكذلك شفقتهم ورحمتهم على بعض الناس فيقولون: مسكين فلان، واقع كذا، وكذا مما يكرهُ ذكره المقول فإذا تقرر هذا، وعلم فيحتاج العالم، والمتعلم أن يكونا متيقظين لهذه الأمور، وما شاكلها ويتحفظان منها إذ أن يتحفظهما يتحفظ كل من رآهما أو علم حالهما؛ لأنهما قدوة للمهتدين"(١).

---

(*) - الطبرانى، المعجم الأوسط، مرجع سابق، ج٤، ص٢٧٨.
- القضاعى، مرجع سابق، ج(٢)، ص٥٨.
- ابن المبارك، مرجع سابق، ج(١)، ص٢٤٥.
- أبو عوانة، مرجع سابق، ج(١)، ص٣٢.
(**) - مسلم، مرجع سابق، ج(١)، ص٢٠٠١.
- أبو يعلى ، مرجع سابق، ج(١١)، ص٣٧٨.
- ابن رجب الحنبلى، مرجع سابق، ج(١)، ص٣٣٥.
(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٢٢: ١٢٤.

ويقول الغزالى فى هذا المضمون محذراً الصبى" أى بنى: أنى رأيت الناس ينم بعضهم بعضاً ويغتاب بعضهم بعضاً، فوجدت ذلك من الحسد فى المال والجاه والعلم فتأملت قوله تعالى:

﴿...نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ ...﴾ (١)

فعلمت أن القسمة كانت من الله تعالى فى الأزل فما حسدت أحداً، ورضيت بقسمة الله تعالى"(٢).

ويجب على طالب العلم "أن يحترز من أن يصبح مشهوراً ومذكوراً بين الناس بسوء القالة والنميمة والألفاظ المستهجنة والكلمات الموحشة(٣).

وقال رسول الله ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت(*) فطالب العلم يستحب له ما هو فيه من الطلب والتحصيل عن التفكير فى أحوال الناس وتعداد مساوئهم فيشغله ذلك عن مهمته الأساسية من البحث والاطلاع والمناقشة ومدارسة مسائل العلم.

**٧- ألا يمنعه طلب العلم عن العمل لكسب أسباب الحياة :**

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يلتمس طالب العلم عملاً يتكسب منه فيكون معيناً له على طلب العلم ومعاش الحياة ويحميه من الإذلال لطلاب الدنيا وحفظ مروءته وخلقه ومكانته وقد سار على هذا السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

فيذكر الإمام ابن الحاج "كان بعض طلبة العلم بالمغرب يأخذون المسحاة، ويأتون إلى مواقف البنائين، فإن حصل لهم سبب مشوا فيه يومهم ذلك، وإلا رجعوا إلى الدرس

---

(١) سورة الزخرف : من الآية ٣٢ .
(٢) الغزالى، رسالة أيها الولد، تحقيق: إبراهيم محمد البطاوى، (القاهرة: دار الإنسان، ١٩٧٦م)، ص٣٢.
(٣) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوى عند ابن المقفع، الجاحظ، عبد الرحمن الكاتب، مرجع سابق، ص٢٣٨.
(*) - الهيثمى، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق، ج(٨، ص١٦٩.
- الطبرانى، المعجم الكبير، مرجع سابق، ج(١٠)، ص١٩٦.
- القضاعى، مرجع سابق، ج(١)، ص٢٨٦.

والحاصل من هذا أن يدخل المتعلم إلى تعلم العلم بجدٍّ واجتهاد، وحسن نيةٍ، وترك الألتفات إلى العوارض، والأسباب، والعوائد التى انتحلت فى هذا الزمان، وهو مخيرٌ فى الأسباب الشرعية هل يقدم عليها، أو يتركها ثقةً به ﷻ، فإن قال قائل "إنه لا يمكن لطالب العلم التسبب فى الصنائع؛ لأنه قد يخرج به عن سمته، ووقاره، وزيه فالجواب: أن هذا من البدع التى أحدثت؛ لأن السلف رضوان الله عليهم أجمعين لم يكن عندهم فرق فى الزى، ولا الملبس لفقيهٍ، ولا لغيره"(١).

ففى هذا النص يورد الإمام ابن الحاج اشتغال بعض طلبة العلم بالصنائع المختلفة لصيانة نفسه وكسب معاشه، ويذكر الإمام ابن الجوزى "رأيت جماعة ممن أفنى أوائل عمره وريعان شبابه فى طلب العلم صبر على أنواع الأذى، وهجر فنون الراحات، أنفة من الجهل ورزيلته وطلباً للعلم وفضيلته، فلما نال منه طرفاً رفعه عن مراتب أرباب الدنيا ومن لا علم له إلا بالعاجل، ضاق به معاشه، فسافر فى البلاد يطلب من الأراذل، ويتواضع للسفلة وأهل الدناءة والمكاس وغيرهم، فخاطب بعضهم وقلت ويحك أين تلك الأنفة من الجهل الذى سهرت لأجلها، وأظمأت نهارك بسببها، فلما ارتفعت وانتفعت عدت إلى أسفل سافلين؟"(٢).

لذلك فمن واجب الدولة أن توفر لطالب العلم ما يقتات به فى معاش حياته حتى يتفرغ للبحث والمطالعة وإيراد مسائل العلم وصرف همته وجهه لطلب العلم والاستزادة منه.

ثم يورد الإمام ابن الحاج مثالاً نموذجاً يحتذى به للسلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم لحض المتعلم على العمل فيذكر "الشيخ الجليل المعروف بالزيات رحمه الله، وكان من أكابر العلماء الصلحاء فى وقته إذا جلس إلى الدرس يجتمع له نحو من أربعمائةٍ

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ص ١١٨: ١٢٠.
(٢) ابن الجوزى، وصايا ونصائح لطالب العلم، السلسلة الإرشادية (٧)، تحقيق: محمد بن إبراهيم الشيبانى، (الصفا مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ١٩٩٤م)، ص٦٦.

أو ستمائةٍ من الفقهاء يحضرون عليه، فإذا فرغ من مجلسه قام، ودخل بيته، وأخرج ما يحتاج إليه على رأسه، أو فى يده من قمح يطحنه، أو عجين يخبزه، أو شراء خضرةٍ أو حاجةٍ من السوق، أو حصاد لزرعه بيده، أو غسل ثياب إلى غير ذلك من الحوائج" (١).

فهذه صورة للسلف الصالح فى الاشتغال والعمل بأسباب الدنيا لكسب العيش الذى يعطى لطالب العلم القدوة والمثل للتأسى بهم فى أقوالهم وأفعالهم.

### ٨- حرية المتعلم فى اختيار أستاذه:

يؤكد فقهاء المالكية على دعم حرية طالب العلم فى اختيار أستاذه لأن "المتعلم يحتاج إلى الأستاذ ليكتسب منه علماً وخلقاً وأساليب تعلم"(٢).

لذلك فقد كفلوا للمتعلم حرية اختياره لعدم اقتصار عطاء المعلمين على تزويد المتعلمين بالعلوم والمعارف داخل الصف الدراسى بل لامتدادها خارجه، ووضعوا شروطاً فى اختيار الأستاذ منها الصلاح والعلم وتمام الفائدة منه.

وفى هذا المضمون يشير ابن الحاج" ينبغى للمتعلم أن لا يخرج من المدرسة إلى غيرها، ولا من المسجد إلى غيره إلا لفائدةٍ من زيادة العلم، أما لأن يكون مدرس المدرسة الأخرى أعلم، أو أفيد، أو أصلح من الأول"(٣).

وهذه إشارة صريحة وواضحة توجه المتعلم إلى "انتقاء معلمٍ ذكيٍ ناصحٍ أمينٍ ليقدم له العون عن رضا وطيب خاطر"(٤).

**واشترط السادة المالكية ضرورة صلاح أمر الأستاذ بالأخلاق الكريمة :**

"قال أبو حنيفة فى أستاذه الذى اختاره: وجدته شيخاً وقوراً حليماً صبوراً"(٥).

---

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص١١٩.
(٢) أحمد محمد إبراهيم فلاته، مرجع سابق، ص٩٥.
(٣) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص١١٥.
(٤) لطفى بركات أحمد، فى الفكر التربوى الإسلامى، مرجع سابق، ص٩٩.
(٥) أحمد محمد إبراهيم فلاته، مرجع سابق، ص١٠١.

فهنا "تقدير للعلاقة العلمية والتواصل العلمى بين العلماء والمتعلمين فلا يكفى للمتعلم أن يأخذ علمه من بطون الكتب، وأن يعيش فى دائرةٍ مغلقة فى قراءاته دون الاحتكاك العلمى بالآخرين العاملين فى المجال، فاحتكاك العلماء وتبادل الآراء والحوار والنقاش هى وسائل النضج العلمى الحقيقى"(١).

لذلك اشترط فقهاء المالكية ضرورة احتكاك المتعلم بالمعلم الصالح النقى الورع.

**٩- تلقى العلم مباشرة من أصحابه :**

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يأخذ المتعلم العلم عن أصحابه النابغين فى فن العلم الذى هو بصدده لأن "البحث فى العلوم والعمل بها يتطلب الرجوع إلى مصادرها وإلى أصحابها وهو المناسب لصناعتها" (٢).

فيورد الإمام ابن الحاج "ينبغى للمتعلم إن اضطر إلى مسألةٍ فليسأل عنها أهل العلم وحينئذ يُقدم عليها"(٣).

**١٠- أن يحذر من مخالطة أهل البدع :**

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يلازم طالب العلم الصلحاء والفضلاء من العلماء وعدم مخالطة أصحاب البدع والأهواء ورفقاء السوء "فيجب على طالب العلم أن يطهر ظاهرة بمجانبة البدعة، والتحلى بسنن رسول الله ﷺ فى أحواله كلها"(٤).

ويشير الإمام ابن الحاج "ينبغى للمتعلم أن يحذر من أن يزور أهل البدع، وممن لا خطر له فى الدين بالتمويه، وبعض الإشارات ، والعبارات، مع أنه قد قل فى هذا الزمان من يضطر إلى ذلك من المدعين بل قد تجد بعض من ينسب إلى أهل العلم يقعد بين يدى بعض من يدعى الفقر والولاية، وهو مكشوف العورة، وقد تذهب عليه أوقات الصلاة، وهو لم يصلِّ، ويعتذرون عنه بأنه يحزب على نفسه.

(١) المرجع السابق، ص ص ١٠١: ١٠٢.
(٢) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوى عند ابن خلدون وابن الأزرق، مرجع سابق، ص٧٨.
(٣) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص١١٥.
(٤) محمد بن سعيد بن رسلان، مرجع سابق، ص١٤٠.

فينبغى لطالب العلم بل يتعين عليه أن تكون السنة عنده أعظم مطلوبٍ، ويغار عليها أن تغيرت معالمها بأن ينسب إليها ما ليس منها فإذا تعارض لطالب العلم المحافظة على السنة، وزيارة من يخالف شيئاً منها، فالترك لزيارته متعين عليه ولا يجوز له غير ذلك" (١).

وهنا يشير الإمام ابن الحاج إلى لمحة من آداب الزيارة لطالب العلم فيجب عليه زيارة الفضلاء والعلماء لا أهل البدع فيأخذ نفسه بالصون من مخالطة أهل الشبهات والبدع، "وعن مالك رحمه الله: السنة سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق فأهل السنة والجماعة المعتصمون بالكتاب والسنة فى أمن وأمان، فى نجاة وسلامة :

﴿ ...أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٢)

وأهل البدع والشرك فارقون متفرقون، بكل فتنة متنقلون، شاكون لا قلب مطمئن ولا جسم مستريح فالبدع على اختلاف أنواعها، تقتل منهم ملايين البشر فى كل ثانيةٍ ونفسٍ"(٣).

وعلى هذا وجب على طالب العلم أن يتحفظ على نفسه فى الخوض والاشتراك والزيارة لأهل البدع لما فيه من عظيم المفسدة عليه.

### ١١- أن يواظب على لقاء مشايخ العلم :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة مواظبة طالب العالم فى لقاء أساتذته ويجعلون ذلك من شروط التعليم "فينبغى لطالب العالم أن يكون حريصاً على التعليم مواظباً عليه وعلى مشايخ العلم فى جميع الأوقات التى يتمكن منه فيها، ولا يقتنع بالقليل مع تمكنه من الكثير(٤).

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص١٣١.
(٢) سورة الزخرف : من الآية ٣٢ .
(٣) محمد بن عبد الرحمن المغراوى، مرجع سابق، ص٢٨.
(٤) أحمد فريد، البحر الرائق فى الزهد والرقائق، ط(٢)، (جدة: مكتبة الصحافة، ١٩٩١م)، ص٤١.

فيورد الإمام ابن الحاج فى هذا المضمون "ينبغى للمتعلم أن يواظب على لقاء مشايخ العلم الذين جعلهم الله سبباً للفتح، والخير وأن يواظب على المطالعة والتفهم والبحث والاشتغال بالدرس مع الأخوان الذين يرجو النفع بهم"(١).

وعلى هذا يجب على طالب العلم "أن يلزم حلقة شيخه فى التدريس والإقراء، بل وجميع مجالسه إذا أمكن، ويجتهد على مواظبة خدمته والمسارعة إليها"(٢).

"وأن يجتهد فى أن يسبق الحضور إلى المجلس قبل حضور الشيخ .

كان أبو على النحوى المعروف بقطرب (ت٢٠٦هـ) من أشهر تلاميذه سيبوية. وكان حريصاً على الاشتغال والتعليم وكان يبكر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلاميذ، فقال له يوماً ما أنت إلا قطرب ليل فبقى عليه هذا اللقب. وكان قطرب هذا ممن رووا عن الصادق"(٣).

ويجب على طالب العلم أيضاً أن يواظب على المدارسة والمناقشة مع اقرانه بالمناظرة أو المذاكرة لتعم الإفادة.

### ١٢- أن تتساوى عنده مواضع الجلوس عند أخذ الدروس :

وهنا يؤكد فقهاء المالكية على العلاقة بين الطالب وزملائه فى قاعة الدرس فيجب على طالب العلم "أن يجلس حيث ينتهى به المجلس ولا يتخطى رقاب الآخرين لاختيار المكان القريب من الأستاذ وليوسع لزميله"(٤).

وفى هذا المضمون يشير ابن الحاج ينبغى لطالب العلم أن يتساوى عنده مواضع الجلوس فى الارتفاع، والانخفاض، كل ذلك عنده سواء فحيث أجلسه الله جلس، وما ساقه الله إليه رضيه، وشكره، وما منعه منه حمده على ذلك، ورآه من ربه عزوجل عطاءً"(٥).

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٣٠.
(٢) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٦٣.
(٣) عبد الله دخيل الفياض، مرجع سابق، ص ص ٢٠٥: ٢٠٦.
(٤) أحمد محمد إبراهيم فلاته، مرجع سابق، ص ص ١٦٣: ١٦٥.
(٥) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص١٢١.

ومن هذا النص يجب على طالب العلم ألا يزاحم أقرانه فى المجلس فيرضى بما يقسمه الله له فى جلوسه ويشكره على نعمته ليحسن النية فى طلب العلم ويعينه الله على فهمه والانتفاع به ويستحب له فى جلوسه أن يكون مستقبل القبلة لنعم البركة بإذن الله تعالى عليه.

**١٣- أن يمزج أول طلبه للعلم بالتعبد لله فلا يخلى نفسه من الأوراد :**

يؤكد فقهاء المالكية أن من أغراض التربية والتعليم عبادة الله والتقرب إليه بالفرائض والنوافل والأوراد فيؤكدون على طالب العلم ضرورة مزج طلبه للعلم بإخلاص العبادة لله والمحافظة على أداء الطاعات حيث إن "الغرض من التربية الإسلامية تحقيق الهدف الدينى وهو العمل للآخرة، والهدف العلمى وهو العمل للدنيا" (١).

ويشير ابن الحاج فى هذا الصدد "ينبغى للمتعلم أن لا يخلى نفسه من العبادات وأن يكون له وردٌ من كل شيء منها إذ أنها سبب الإعانة على ما أخذ بسبيله لقوله ﷺ "واستعينوا بالغدوة، والروحه، وشيء من الدلجة"(*).

فينبغى للمتعلم فى أول طلبه العلم أن يمزجه بالتعبد .

فقد قال عبد الله بن مسعود ﷺ : العلم كالشجرة، والتعبد كالثمرة، فإذا كانت الشجرة لا تثمر بها فليس لها فائدةٌ كليةٌ، وإن كانت حسنة المنظر ناعمةً وقد ينتفع بها للظل وغيره، ولكن الذى عليه المعمول قد عدم منها"(٢).

وهنا يجعل فقهاء المالكية الغاية من التعليم يوجه عام التقرب إلى الله بحسن أداء العبادات والطاعات.

---

(١) عزت جرادات وآخرون، مرجع سابق، ص ٩٧.

(*) - البخارى، صحيح البخارى، مرجع سابق، ج(١)، ص ١١٦.
- النسائى، السنن الكبرى، مرجع سابق، ج(٨)، ص ١٢٢.
- أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ج(٤)، ص ٤٢٢.

(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ص ١٢٤: ١٢٥.

### ١٤- العمل بالعلم :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يكون طالب العلم عاملاً بعلمه، وفى هذا الصدد يشير الإمام ابن الحاج" ينبغى لطالب العلم أن يكون عمله فى علمه مثل الملح فى العجين إن عدم منه لم ينتفع به، والقليل منه يصلحه، فينبغى له أن يشد على مداومته على فعل السنن، والرواتب، وما كان منها تبعاً للفرض قبله أو بعده فإظهارها فى المسجد أفضل من فعلها فى بيته"(١).

ويجب على طالب العلم فى ضوء ذلك أن يكون عمله ترجمةً لعلمه لأن "كل من القوتين تقوى بالآخر: فالعلم يقوّى العمل، والعمل يقوى العلم، فمن عرف الله وقلبه سليمٌ أحبه، وكلما ازداد له معرفةً ازداد حبه له، وكلما ازداد حبه له ازداد ذكره له ومعرفته بأسمائه وصفاته، فإن قوة الحب توجب كثرة ذكر المحبوب"(٢)، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ ... ﴾(٣)

وقوله تعالى :

﴿...وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾"(٤)

لذلك وجب على طالب العلم مزج علمه بعمله لأنه قدوةٌ لغيره فى الأثر والاتباع .

### ١٥- أن يحافظ على قيام الليل :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يمزج طالب العلم علمه بتمام العبادة والطاعة لله وليس أفضل من قيام الليل فيوجبون عليه أن يكون له وترٌ وحظٌ من الركوع والسجود فى الليل مع طلبه للعلم لأن "أجود أوقات الحفظ الأسحار، وحفظ الليل أنفع من حفظ

(١) المرجع السابق، م(١)، ج(٢)، ص ص ١٢٥: ١٢٦.
(٢) ابن تيمية، العلم والعمل، التقريب والتهذيب لعلوم شيخ الإسلام، القسم الأول، (الفتح المبين من قواعد الملةومقاصد الدين (٥-٦)، تحقيق: أحمد فريد، عبد السلام بن محمد بن عبد الكريم، ط(٢)، (القاهرة: المكتبة الإسلامية ٢٠٠٠م)،ص٤٠.
(٣) سورة الحشر : من الآية ١٩ .
(٤) سورة الكهف : من الآية ٢٨ .

النهار، فيجب لطالب العلم أن يقسم أوقات نهاره وليله حتى يغتنم الوقت المناسب للحفظ"(١).

وإن كان فقهاء المالكية قد نبهوا طالب العلم إلى قيام الليل بالعبادة فقط لتحصل له البركة فإننا نستحسن أيضاً أن يكون له بجانب العبادة طرفٌ لقراءة ومدارسة العلم فقد كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله يقسم ليله بين العبادة وطلب العلم.

ويشير الإمام ابن الحاج "ينبغى للمتعلم أن يحافظ على قيام الليل، ولا يخلى نفسه منه، وهو خمس تسليمات غير الوتر، ويقرأ فيها بما خف من القرآن يكون له فى تلك الركعات حزبٌ معلوم من حزبين أو ثلاثة، لأن أحب العمل إلى الله أدومه، وفى قيام الليل من الفوائد جملة،فلا ينبغى لطالب العلم أن يفوته منها شيء فمنها:

١- أن يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجر.

٢- أنه ينور القلب.

٣- أنه يحسن الوجه.

٤- أنه يذهب الكسل، وينشط البدن.

٥- أن موضعه تراه الملائكة من السماء كما يتراءى الكوكب الدرى لنا فى السماء.

وقال رسول الله ﷺ "عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربةٌ إلى الله ومنهاةٌ عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردةٌ للداء عن الجسد"(*)

وقوله ﷺ : من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آيةٍ كتب من القانتين، ومن قام بألف آيةٍ كتب من المنتظرين"(**)(٢).

---

(١) سعيد إسماعيل على، اتجاهات الفكر التربوى الإسلامى، مرجع سابق، ص٩٤.

(*) البيهقى، شعب الإيمان، مرجع سابق، ج(٣)، ص١٢٨.

(**) - ابن خزيمة، مرجع سابق، ج(٢)، ص١٨١.

- ابن حبان، مرجع سابق، ج(٦)، ص٣٠٠.

(٢) ابن الحاج العبدرى،مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ١٢٦.

فبذكر أمامنا ابن الحاج لفوائد القيام بالليل للعبادة فما بالنا إن مزجها طالب العلم بمدارسة مسائلة فقد يكون له أجورٌ مضاعفةٌ وإن كان الإمام ابن الحاج فى النص التالى يعترض على قيام الليل للعبادة والمذاكرة بقوله :

" ومن يقلْ: إن طالب العلم إن فعل ما ذكرتموه تعطلت عليه وظائفه من الدرس والمطالعة، والبحث فالجواب: إن نفحةً من هذه النفحات تعود على طالب العلم بالبركات، والأنوار، والتحف ما قد يعجز الواصف عن وصفه، وبركة ذلك يحصل له أضعاف ذلك فيما بعد، مع أن هذا أمرٌ عزيزٌ قل أن يقع إلا للمعتنى به، والعلم والعمل إنما هما وسيلتان لمثل هذه النفحات"(١).

ويبدو من النص السابق أن ابن الحاج يلزم طالب العلم بطلب التعليم والمطالعة والبحث فى نهار اليوم ثم يفرغ قلبه بالليل لطاعة الله سبحانه وتعالى للتعرض لهذه النفحات الإيمانية.

١٦- أن يحافظ على ورد الصوم :

ومرة أخرى يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة تأدب المتعلم بآداب الشريعة الإسلامية فبجانب أداء العبادات والطاعات وجب عليه أن يحافظ على أوراد الصوم ويورد الإمام ابن الحاج "ينبغى للمتعلم أن يحافظ على ورد الصوم، ولا ينبغى له أن يتعطل بأنه مشغولٌ عنه بطلب العلم، إذ صيام ثلاثةِ أيام فى الشهر ليس فيها كبير مشقة فى الغالب سيما على ما كان يصومها مالك رحمه الله، فإنه كان يفطر تسعة أيام، ويصوم عاشرها، فإذا ادعى أن يعجز عن صوم ثلاثة أيام فى الشهر مع طلبه العلم فينبغى لهذا أن يترك طلب العلم فى تلك الثلاثة، ويصومها، لئلا تفوته هذه الفضيلة العظمى لقوله ﷺ :"الحسنة بعشر"(*)(٢).

(١) المرجع السابق، م(١)، ج(٢)، ص ص ١٢٦: ١٢٩.

(*) - الدرامى، مرجع سابق، ج(٢)، ص٤٠٥.
- منصور (الإمام سعيد بن منصور)، سنن سعيد بن منصور، تحقيق: سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، ج(٥)، (الرياض: دار العصيمى، ١٤١٤هـ)، ص٣١٢.
- ابن حميد (الإمام عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسى)، مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحى البدرى السامرائى، محمود محمد خليل الصعيدى، ج(١)،(القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٨٨م)، ص٢٩٧.

(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، صص١٣٠.

فهنا يؤكد فقهاء المالكية على أن غرض التربية إنما هو التقرب إلى الله وعبادة الصوم لها عميق الأثر فى شخصية المتعلم فيوحبون عليه ألا تفوته هذه الفضيلة لأن بالصوم "يزكو القلب، وتصفو النفس، وتتهذب الروح، ويصير الإنسان منبعاً فياضاً للخير على نفسه، وعلى بنى وطنه وجنسه، وبهذا يقترب من الملأ الأعلى، ويتلقى التكاليف الإلهية والواجبات الاجتماعية، بقوة لا تعرف الضعف، وثبات لا يعرف الملل، وإخلاص لا يعرف الرياء، وإيمان لا يعرف الشك"(١).

لهذا أكد فقهاء المالكية على ضرورة أن بعض طالب العلم يده على هذه العبادة ويواظب على أدائها.

**١٧- أن يواظب على الاشتغال بالعلم يوم الجمعة :**

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يجد طالب العلم ويجتهد فى طلبه لأن آفة العلم النسيان فمتابعة المطالعة والمدارسة تنفى عنه نسيانه والاختلاط فيه فأكدوا عليه أن لا يخلى نفسه يوم الجمعة من البحث والقراءة.

وفى هذا الصدد يورد الإمام ابن الحاج "ينبغى لطالب العلم أن يكون مواظباً على الاشتغال به فإن الترك مضرٌ، ولو قل، فلا ينبغى أن يترك الاشتغال إلا لضرورةٍ شرعيةٍ تتعين عليه، فإذا كان يوم الجمعة فلا ينبغى له أن يترك الاشتغال فيه؛ لأنه يوم فضلٍ عظيمٍ فينبغى له أن يبادر إلى أفضل الأعمال فيعملها فيه، وأفضل الأعمال طلب العلم، لكن إن اشتغل بذلك فى أول النهار قد يخشى أن يفوته بسببهِ شىء من وظائف الجمعة مثل الغسل، وقص الشارب ، والأظافر، وغير ذلك، فينبغى له أن يكون اشتغاله بعد انصرافه من صلاة الجمعة"(٢).

(١) محمود شلتوت، مرجع سابق، ص ١١٢.
(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ص١٣٥: ١٣٦.

ويشير الإمام ابن الحاج فى هذا النص إلى ضرورة اشتغال طالب العلم بالمدرسة والمطالعة فى جميع أيام الأسبوع بما فيها يوم الجمعة بشرط ألا يشغله ذلك عن أداء صلاة الجمعة فى وقتها ولنا فى السلف الصالح القدوة فقد كان "أبو الريحان البيرونى محمد بن أحمد الخوارزمى يدارس العلم حتى وهو يجود بنفسه ويحتضر"(١).

وقد كره الإمام الحطاب "ترك العمل يوم الجمعة إذ بتركه تعظيماً لليوم كما يفعل أهل الكتاب"(٢).

ويذكر أيضاً "أن النبى ﷺ كان يأمر بمخالفة أهل الكتاب، وينهى عن التشبه بهم روى عنه ﷺ "ألحدوا، ولا تشقوا فإن اللحد لنا، والشق لغيرنا(*) أى أهل الكتاب، وأنه قال ﷺ فصل ما بين صيامنا، وصيام أهل الكتاب أكلةُ السحور"(**)(٣).

فكيف يترك طالب العلم المطالعة يوم الجمعة وهو المطالب "بأن يظل فى طلبه أبداً فى جميع أوقاته؛ ليلاً ونهاراً حضراً وسفراً"(٤).

## ١٨- توقير العلماء واحترامهم :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يحترم المتعلم أستاذه ويجعلون ذلك من دأب السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين المطالبين بالتأسى والإقتداء بهم وذلك "لأن المعلم هو الذى يفتح عيون المتعلم على حقائق كان يجهلها، ولأنه هو الذى يغذيه بالمعارف والقيم والاتجاهات، حظى بالاحترام بالتقدير فى الكتابات الإسلامية إلى الدرجة التى جعلت كثيرين منهم يعتبروه المالك الحقيقى لكل من تعلم على يديه.

---

(١) أحمد مصطفى، مرجع سابق، ص١١٦.
(٢) الحطاب، مرجع سابق، ج(٢)، ص٥٤٨.
(*) - السيوطى، أسباب ورود الحديث، مرجع سابق، ج(١)، ص١١٦.
- الكتانى، مرجع سابق، ج(٢)، ص٣٩.
(**) - النسائى، السنن الكبرى، مرجع سابق، ج(٢)، ص٨٠.
- النسائى، سنن النسائى (المجتبى)، مرجع سابق، ج(٤)، ص١٤٦.
(٣) ابن الحطاب، مرجع سابق، م(٢)، ص٥٤٨.
(٤) أبو عبد الله محمد بن سعيد بن رسلان، مراتب طلب العلم وطرق تحصيله، رسائل العلم النافع، (القاهرة: مكتبة المدينة المنورة، ١٩٩٨م)، ص١٣٨.

قال "شعبة(*): "كل من كتبت عنه حديثاً فأنا له عبد"(١).

وقال رسول اللّٰه ﷺ من علم عبد آية من كتاب اللّٰه تعالى، فهو مولاه ينبغى له ألا يخذله ولا يستأثر عليه"(**).

وفى هذا الصدد يشير الإمام ابن الحاج "ومن الخفض لهم والإكرام أن يحترموا بالقيام لا على طريق الرياء والإعظام بل على طريق التكرُّم والاحترام وعلى هذا استمر من لا يحصى من علماء الإسلام وأهل الصلاح والورع وغيرهم من الأماثل والأعلام، والقيام له على وجه البر لا على وجه التعظيم، وأنكر مالك رحمه اللّٰه تقبيل يد العلماء أو الصلحاء فى المشهور عنه وأجازه غيره"(٢).

ومن هذا النص يجب على طالب العلم "أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته"(٣).

" فالإفادة المرجوة من المعلم لا تكون إلا إذا تحقق الاحترام والتقدير له"(٤) "والوقوف موقف الإجلال له فى حضوره وغيابه"(٥).

---

(*) هو الإمام الحافظ أمير المؤمنين فى الحديث شعبه بن الحجاج بن الورد،وكنيته أبو بسطام الأزدى، ت: ١٦٠هـ) راجع فى ذلك:
- ابن حزم الأندلسى، جمهرة أنساب العرب، ص ٦٠.
- يخشل، تاريخ واسط، ص١٥.
- فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربى، ص١٣٢.
- جولد تسهير وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية ٢٨٣/١٦.
- الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد ١١٣/٦.
- الذهبى، تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الإعلام ١٩١/٦.
- المزّى، تحفة الأشراف، ص ٧٩.
- القرمانى، أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، ص٣٩١.
- ابن حجر العسقلانى، تقريب التقريب ٢٠٧/٢.
- الزركلى، الإعلام، ١٦٤/٣.

(١) سعيد إسماعيل على، بحوث فى التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص٢٠٣.
(**) الهيثمى، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق، ج(١)، ص ١٢٨.
(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٦٢: ١٦٥.
(٣) محمد جواد رضا، مرجع سابق، ص١٢٥.
(٤) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوى عند الإمام الغزالى، مرجع سابق، ص٤٦.
(٥) يوسف محمد النجار، مرجع سابق، ص٦٧.

وقد حكى لنا القرآن الكريم قصة سيدنا موسى ﷺ مع سيدنا الخضر عليه السلام، ففى هذه القصة"نلمس بجلاء ووضوح احترام وتوقير سيدنا موسى عليه السلام لسيدنا الخضر عليه السلام ، فقد قال له موسى بأدب التلميذ مع المعلم.

﴿...هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ (١)

ويؤكد الإمام الماوردى على "ضرورة تذلل المتعلم للمعلم لأن التذلل له سبب لإدامه صبره وإظهار مكنونة فتكون الفائدة والإكثار"(٢).

## ١٩- اختيار الوقت المناسب للاجتماع بشيخه :

اهتم فقهاء المالكية بنوعية العلاقة بين المتعلم والمعلم لتعظيم إفادة الطالب من معلمه إلى أقصى وأعظم درجةً وذلك "لأن العلاقة بين المتعلم وأستاذه عادةً ما تفتر، بسبب جهل المتعلم للقواعد المتبعة لزيارة الأستاذ، فمن تأذى منه أستاذه، يحرم بركة العلم، ولا ينتفع بالعلم إلا قليلاً"(٣).

فعلى طالب العلم "أن لا يدخل على الشيخ فى غير المجلس العام إلا باستئذان ولا يطرق عليه ليخرج إليه، وإن كان نائماً صبر حتى يستيقظ"(٤). وكذلك يحسن اختيار الوقت للاجتماع به.

وفى هذا الصدد يشير الإمام ابن الحاج "ينبغى أن يكون الطالب مع شيخه أعنى فى الاجتماع به مختاراً للأوقات التى يعلم أن الاجتماع به فيها يخف عليه تحرزاً من أن

(١) سورة الكهف : الآية من ٦٦ : ٧٠ ؛ يوسف القرضاوى، فى الطريق إلى الله (١)، الحياة الربانية والعلم، (القاهرة مكتبة وهبة، ١٩٩٥)، ص١٠٧.
(٢) الماوردى، مرجع سابق، ص٢٩.
(٣) أحمد محمد إبراهيم فلاته، مرجع سابق، ص١٠٣.
(٤) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ص ١٥١: ١٥٢.

يجد للاجتماع به كلفةً، فيحرم العلم بسبب ذلك أو بركته لأجل أنه قد يكون الشيخ عنده فى ذلك الوقت ما هو أهم عليه من الاجتماع بالناس، وهذا النوع كثيراً ما يفعله بعض الناس فى هذا الزمان تجدهم يعتقدون الشخص، ويقولون ببركته ثم أنهم يختارون الأوقات الفاضلة فيأتون فيها إلى زيارته فيشغلونه عن اغتنام بركة تلك الأوقات، فيصير هو وهم بالسواء أعنى فى بطالة تلك الأوقات الشريفة. ألا ترى إلى ما كان عليه حال السلف الصالح فى شهر رمضان إذ أنه إذا دخل عليهم تناكر بعضهم من بعض، ونفر كل واحدٍ منهم من صاحبه حتى إذا فرغ اجتمعوا، وأقبل بعضهم على بعض بخلاف ما الحال عليه اليوم، فإنه إذا دخل عليهم شهر رمضان كثر اجتماعهم وزيارتهم فيه، فمن لم يأت منهم إلى قريبه أو صحابه أو معلمه يجدون عليه، ويقع التشويش بينهم"[١].

فيشير النص السابق إلى أهمية اختيار الأوقات التى يجتمع فيها طالب العلم بمعلمه بأن يتجنب الاجتماع به فى الأوقات التى توجب عليهما الطاعة والعبادة لله سبحانه وتعالى لكى يغتنموا بركة هذه الأيام بالعبادة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى يعكس النص السابق "الأدبيات التى حرص عليها الفكر التربوى الإسلامى فى تنظيم العلاقة بين الطالب والأستاذ، بحيث يراعى الطالب الوقت المناسب للزيارة العلمية والظروف النفسية المناسبة للأستاذ"[٢].

وكذلك اغتنام أيام البركة والفضل بالطاعة لله سبحانه وتعالى.

**٢٠- أن يتحفظ طالب العلم من العمل والتشوق إلى المناصب :**

يؤكد فقهاء المالكية على طالب العلم أن يتحفظ من طلب المناصب والرياسة والجاه بعلمه وخاصة القضاء والولاية والعدالة والتدريس ليكون جل اهتمامه طلب العلم وإخلاص النية فيه وأن "يتجنب الأسباب الشاغلة عن التحصيل فإذا توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق، ولذلك قيل: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك"[٣].

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٨٨.
(٢) أحمد محمد إبراهيم فلاته، مرجع سابق، ص١٠٦.
(٣) أحمد فريد، مرجع سابق، ص٣٩.

فيشير الإمام ابن الحاج إلى ضرورة ألا يطلب المتعلم التدريس حتى يكون له أهلٌ وعلى أعبائه ومطالبه قادرٌ فيذكر"ينبغى للمتعلم ألا يطلب التدريس، ولا أن يعمل عليه حتى يخطب له، ويجده على وجهه السائغ شرعاً من غير أن يدل هو عليه؛ لأن ذلك يُدخل عليه الخلل فى نيته"(١).

وفى نص آخر يشير ابن الحاج إلى ضرورة أن يتحفظ طالب العلم أيضاً من التشوق إلى مناصب الولاية والقضاء لما دخلت عليه فى هذه الأيام من الرشوة والنفوذ والأمور المنكرة شرعاً. فيذكر"وإن كان ذلك فى أخذ الدرس فمن باب الأولى والأحرى فى الأحكام بل فى الأحكام أشد لما ورد فى الحديث"من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين"(*)، فقد كان السلف الصالح يعدون تولية القضاء من الابتلاء، ويستعيذون من ذلك حتى أنهم قد يهجرون بعض من تولى من معارفهم فيتعين لطالب العلم الهرب الكلى من الولاية وأسبابها إذ أنها احتوت- سيما فى هذا الزمان- على حظوظ النفوس من الرياسة الموجودة فيها؛ فالزهد فى الرياسة أفضل، وأعظم من ألف زهدٍ فى المال، وليحذر من أن يميل إلى خاطر النفس فقد تسول له نفسه، أو أحد أنه من الصنف الذين يتعين عليهم الولاية الشرعية فيقع بالقضاءِ فى القضاء(٢).

ومن هذا النص إشارةٌ إلى ضرورة أن يتخذ طالب العلم نفسه بالصون من آفات النفس الأمارة بالسوء بالهروب من مناصب الولاية للاشتغال بالعلم والإقبال عليه والانقطاع إلى الله تعالى بالزهد والخلوة وقد ذكر "أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومناهجها"(٣).

فطالب العلم أولى بالبعد عنها لإفراغ قلبه لطلب مسائل العلم ومدارستها.

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص١٤٤.
(*) الدار قطنى، مرجع سابق، ج (٤)، ص٢٠٤.
(٢) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ص ١٤٤: ١٤٦.
(٣) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوى عند ابن خلدون وابن الأزرق، مرجع سابق، ص١٩٥.

ويضع فقهاء المالكية شروطاً لاشتغال طالب العلم بالعدالة فيذكر الإمام ابن الحاج[1]:

"ينبغى لطالب العلم أن يتحفظ من المناصب فمن أكدها الهرب من العدالة وترك التشوق إليها، إذ أن الخطر فيها أعظم مما فى القضاء؛ فعلى هذا كل مَنْ طلبَ العدالة فهو قدحٌ فى عدالته سيما فى هذا الزمان لما احتوت عليه من الأمور الفظيعة ومنها الرشوة وبذل المال، وقد يضطر طالب العلم إلى العدالة والجلوس لأجل العائلةِ، وما يعتوره من الضروريات الشرعية لقلة ذات اليد مما يحوجه إلى ذلك أو يكون جلوسه بقصد أحد هذه الوجوه الثلاثة وهى:

الوجه الأول: أن يجلس لقضاء حوائج المسلمين، والتفريج عنهم، وإرشادهم وتصحيح عقودهم طالباً بذلك الثواب من الله لا لدنيا يصيبها، ولا لثناءٍ وغيره، امتثالاً لقوله ﷺ: والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه[*].

الوجه الثانى: أن يجلس للشهادة فإذا جاءه شغلٌ أخذ عليه أجرة نسخه للورقة أو أقل منه ليس إلا، فإن زاده على ذلك شيئاً رده عليه، ولم يقبله، وهذا قريب من الوجه الأول فى عزه وجوده.

الوجه الثالث: أن يجلس فإذا جاءه شغلٌ عمله، ولا يطلب عليه شيئاً فإن أعطاه قليلاً رضى به وإن أعطاه كثيراً عن طيب نفسٍ منه لم يرده.

ويرجى له أنه فى طاعةٍ لضرورة الناس إليه، ولكن ليحذر من عدة أمور:

---

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ص ١٥٠: ١٥٦.

(*) النووى، رياض الصالحين، مرجع سابق، ص ص ٩٨: ٩٩. بلفظ "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة،ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به علمه لم يسرع به نسبه".

(الأول): أن يكتب سطراً أو سطرين ثم يترك بياضاً خارجاً عن العادة فهو من باب إضاعة المال، والصرف، والخيلاء.

(الثاني): ليحذر أن يحضر كتب صداقٍ فى موضعٍ مفروشٍ بحريرٍ أو يجلس على حريرٍ أو يستند إليه، ويمنع من الدخول تحت السقفِ المذهب، ومن المواضع التى فيها تماثيل أو صورة ممنوعة شرعاً، ولا يجوز أن يحضر الكتب فى موضع فيه منكرٌ بينٌ كشرب الخمر جهراً، أو مغانٍ وحضروهن بآلات الطرب، وكشف الوجوه، والمعاصم، أو يكون ثَمَّ نساء متبرجات سواءٍ اختلطن بالرجال أم لا.

(الثالث): أن يحترز الشاهد على نفسه مما اعتاده بعضهم فى هذا الزمان، وهو أن القاضى إذا أشهد على نفسه فى إمضاء الحكم قام الشهود له، وانحنوا حتى يقرب بعضهم من الركوع الممنوع لغير الله تعالى.

(الرابع): ينبغى لطالب العلم أيضاً إذا جاءه الخصمان ليشهد عليهما بتقييد ألفاظهما، وما شاكل ذلك مما يقع بينهما حين المشاجرة، أو الرجل وزوجته يريدان الفراق أن يكسر على كل واحدٍ منهما مهما أمكنه، ويشير عليها بالصلح جهده، ويذكر لهما ما فى الصلح من الخير، والبركة، قال تعالى فى كتابه العزيز:

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ... ﴾ (١)

وليعلم طالب العلم أن فى تحفظه من تلك المناصب والاشتغال بالعلم أفضل؛ لأن طلب العلم أفضل الأعمال، وأذكاها، وأبركها فليشد على ذلك يده؛ لأنه لا شىء أبرك مما هو فيه.

لقوله ﷺ: "تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة، وطلبه عبادةٌ، ومذاكرته تسبيح وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه، وبذله لأهله قربه"(*).

(١) سورة النساء: من الآية ١١٤.

(*) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

### ٢١- زيارة الأولياء والصالحين :

يؤكد فقهاء المالكية على طالب العلم ألا يخلى نفسه من مصاحبة وزيارة ومحبة الأولياء والصالحين ليغتنم منهم البركة والخير.

وفى هذا الصدد يشير الإمام ابن الحاج "ينبغى للمتعلم أن لا يخلى نفسه من زيارة الأولياء، والصالحين الذين برؤيتهم يحيى الله القلوب الميتة كما يحيى الأرض بوابل المطر فتنشرح بهم الصدور الصلبة وتهون برؤيتهم الأمور الصعبة إذ هم وقوف على باب الكريم المنان فلا يرد قاصدهم، ولا يخيب مجالسهم، ولا معارفهم، ولا محبهم إذ هو باب الله المفتوح للعبادة، ومن كان كذلك فيتعين المبادرة إلى رؤيتهم، واغتنام بركتهم؛ لأنه برؤية بعض هؤلاء يحصل له من الفهم، والحفظ وغيرهما، فلا يخلى نفسه من الخير العظيم لكن بشرط أن يكون محافظاً على اتباع السنة فى ذلك[١].

وقد كان مالك رحمه الله "على اتصال علمى مستمر بعلماء عصره، سواء أكانوا فقهاءَ أم كانوا غير فقهاء، وكان يجالس علماء المدينة"[٢].

وفى ذلك قدوةٌ لطالب العلم فى الاتصال بالأولياء والصالحين من الناس والعلماء حتى يتواصل فيض علمه وتحصل له بركة الاجتماع بهم.

### ٢٢- عدم التعصب فى العلم المخالف للسنة :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يتبع طالب العلم السنة وتكون الحقيقة هى ضالته وأن يقتدىَ بالعلماء والصالحين من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين وعدم التعصب برأىٍ معينٍ يتناقض مع السنة الشريفة لأنها المحتوى الذى أخذت منه كل الآراء والفتاوى ولا يقلد التقليد الأعمى ولكن يأخذ نفسه بالاجتهاد والبحث ويعلم أن جميع العلماء من السلف الصالح جعلهم الله حجةً فى دينه فقد اتفقوا فى الأحكام العامة

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ص ١٣٠: ١٣١.
(٢) محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره- أراؤه وفقهه، مرجع سابق، ص ٩٨.

واختلفوا فقط فى الفروع فيسروا على الناس مسائلهم فوجب على طالب العلم أن يفرغ قلبه من التعصب لرأى شيخٍ يكون مخالفاً للشرع الشريف.

وفى هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج "بلغنى ممن أثق به أن بعض من ينسب إلى العلم تكلم فى مسألةٍ، ونقل فيها عن بعض شيوخه نقلاً تأباه الشريعة فقال له بعض من حضره: حديث النبى ﷺ يردُّ هذا فأجابه بأن قال: حديث النبى ﷺ إنما يراد للتبرك والشيوخ هم الذين يُقتدى بهم، وهذا إن كان معتقداً لما قاله كان كافراً حلال الدم، وإن لم يعتقده فهو مرتكبٌ لكبيرةٍ عظمى يجب عليه أن يتوب منها مع الأدب الموجع[1].

وقد ورد إجلال الإمام مالك رحمه الله لحديث النبى ﷺ فما بالنا بالطعن فيه فيجب على طالب العلم أن يحذر كل الحذر من هذه البدعة التى عمت بها المفاسد وتتنافى مع أخلاق طالب العلم.

(١) ابن الحاج العبدرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص١٣٢.



obeikandl.com